أخبار الوافدات من النّساء على معاوية بن أبي سُفيان

تأليف

العبّاس بن بكّار الضبّي

١٢٩هـ - ٢٢٢هـ

تحقيق

سكينة الشهابي

مؤسسة الرسالة

أخبار
الوافدات من النساء
على معاوية بن أبي سفيان

الطبعة الأولى

١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م

مؤسسة الرسالة بيروت - شارع سوريا - بناية صمدي وصالحة
هاتف: ٣١٩٠٣٩ - ٢٤١٦٩٢ ص.ب: ٧٤٦٠ برقياً: بيوشران

بسم الله الرحمن الرحيم

موضوع الكتاب وعنوانـه :

لفيف من النسوة كانت لمعاوية معهن لقاءات مختلفة ؛ استدعى بعضهن في مجلس سمر ، أو ليلة أرق ، وجاءت أخريات إليه لرفع مظلمة ، أو تقديم شكوى ، أو لحضور مجلس الخليفة ، والمشاركة في الأحداث العامة ، شأنهن في ذلك شأن الرجل . ومن هؤلاء النسوة من التقى بهن معاوية مصادفة ، وكانت له معهن قصة .

يحكي الكتاب ستة عشر خبراً لست عشرة امرأة أهمهن أولئك اللواتي كان لهن دور بارز في معركة صفين ، وهؤلاء اللواتي أرسل معاوية في طلبهن ليذكرهن بمواقفهن الصلبة مع خصمه أيام كانت نار المعارك مشتعلة أشد ما تكون اشتعالاً ؛ وليظهر لهن حلمه ، وسعة صدره في عفوه عنهن ، من هؤلاء : الزرقاء بنت عدي ، وأم الخير بنت الحريش . وكأن هؤلاء النسوة بعد أن انتهت المعركة ، وأصبح الأمر في يد معاوية وجدن مصلحة الأمة في طاعته ، وعدم الخروج عن أمره . يبدو لنا ذلك في قول أم الخير بنت الحريش حـين قرأت كتاب معاوية : « أما أنا فغير زائغة عن الطاعة ، ولا معتلة بكذب ؛ ولقد كنت أحب لقـاء أمير المؤمنين لأمورٍ تختلج في مجرى النفس مني ، يغلي بها صدري كغلي المرجل[1]» .

إن مثل هذا القول لا يصدر إلا عن ثقةٍ ما بعدها ثقة بالخليفة الجديد

(١) انظر ص ٢٧ .

الذي استطاع أن يكسب قلوب الرعية بحكمته وعدله ، ورحابة صدره . ولعل هذه الثقة هي التي دفعت كثيراً من النساء اللواتي شاركن في معركة صفين إلى الوفود على معاوية من غير أن يستدعيهن .

من هؤلاء : عكرشة بنت الأطش ، وسودة بنت عمارة ، وأم سنان بنت خيثمة بن خرشة .

أخبار هذا القسم من النساء أهم أخبار الكتاب على الاطلاق ، ومجالس معاوية معهن من مجالس العرب الطريفة الممتعة ، تتجلى فيها شخصية الخليفة المتسامح المتواضع ، وأسلوبه في معاملة الرعية ، فلا فرق عنده بين كبير وصغير ، وغني وفقير ، ورجل وامرأة . الكل سواسية في كلمة الحق ، وميزان العدل . كما تتجلى في هذه المجالس شخصية المرأة العربية ، وجرأتها ، وفصاحتها ، ومقدار الحرية التي كانت تتمتع بها ؛ فهي تستطيع أن تخوض المعارك ، وتحرض المقاتلين . وقد يكون لها دور بارز في ترجيح كفة المعركة ، لتأثير كلامها في النفوس والقلوب . مثل هذا أحس به معاوية إحساساً قوياً ، وبدا لنا في حديثه مع عكرشة بنت الأطش : « فكأني بك على عصاك هذه ، وقد انكفأ عليك العسكران ، يقولون : هذه عكرشة بنت الأطش ! وإن كدت لتؤلبين علي أهل الشام ، لولا ما قدر الله[1] » . بمثل هذا العتاب كان يقرع سمع جليساته ، يذكرهن بمواقفهن في خصومته . ولكنه الخليفة العادل الذي يزين الأمور بالقسطاس ، ويقف مع الخصم ضد نفسه . وكم من مرة رأينا العبرة تفيض من عينيه حين تذكره واحدة منهن بمواقف لعلي منصفة من الإسلام والمسلمين . وهذا ما يجعلنا نحبه ونعجب بدهائه كما أحببنا هؤلاء النسوة الجريئات اللواتي جئن إليه واثقات من عدله ، آمنات من بطشه ، سالكات في حديثهن معه صراحة ما بعدها صراحة ؛ وجرأة ما بعدها جرأة .

---

(١) انظر ص ٣٨ .

ومن الوافدات على معاوية مَنْ سلقته بألسنة حداد ، وذلك حين يعمد إلى استثارة حفيظتهن ؛ وكأنهن قد أمنَّ سلفاً بما عرف عن معاوية من حلم وأناة ، ومداراة للخصم ، فأفصحن عما تجيش به صدورهن . ولعل معاوية كان يقصد إلى إثارتهن قصداً ليعرف ما في النفوس فيتألف القلوب ويحسن المداراة . وإن دل ذلك على شيء فإنما يدل على أن معاوية كان لا ينسى في لحظة من اللحظات تلك الخصومة التي كانت مشتعلة بينه وبين علي ، فهو لا يفتأ بين حين وآخر يحرك الرماد ليرى ذلك الجمر الكامن تحته . وربما كان يقصد شيئاً آخر وهو أن يعرف مواطن الضعف في نفسه فيتلافاها .

ويبدو لنا أن رواة هذه الأخبار كانوا يقصدون إلى إبراز أمرٍ والتأكيد عليه ؛ وهو أن علياً كان صاحب حق ، وأن معاوية كان مغتصباً . وقد ورث علي هذا الحق بسبب مزايا رفيعة اختصه الله بها ؛ وهيأه لها لاستلام أمانة لم تكن بالسهلة ، ولكنهم ـ أعني الرواة ـ كانوا أذكياء جداً ، فلم يخطئوا ولا مرة واحدة في رسم شخصية معاوية الحليم الهادىء ؛ ذي القلب الكبير ، فهو يسمع ما يقال في علي ؛ ويرى مقدار حب أصحابه له ، وجرأتهم في تفضيله ، ولم يخرجه ذلك ولا مرة واحدة عن الهدوء والسماحة إلى الانفعال والغضب ، بل كان دائماً يؤيد أقوالهن ، ويخرجن من مجلسه بوافر العطاء ، وجزيل المكافأة .

يوحي عنوان الكتاب : « الوافدات من النساء من أهل البصرة والكوفة على معاوية » ، أنه يضم بين دفتيه أخباراً لنساء قدمن من البصرة والكوفة على معاوية . ولكن قارىء أخبار الكتاب يجد بين هؤلاء النساء من لا يعرف البصرة والكوفة مثل جروة بنت مرة التميمية التي استدعاها معاوية من مكة إلى المدينة لتخبره عن قومها من تميم[1] . ومثل دارمية الحَجونية التي كانت تسكن الجحفة فاستدعاها إلى مكة في موسم الحج ، ولم يكن قصده من استدعائها على ما يبدو من خبرها ـ إن صح الخبر ـ إلا التسلية : « بعثت

(١) انظر ص ٣٣ .

إليك أسألك عــلاَمَ أحببت علياً وأبغضتني ؟ »[1] . وليس من أجل هــذا استدعاها ، فقد كانت امرأة سوداء ، كثيرة اللحم ، وصادف ذكر هذه المرأة في نفسه شيئاً من الرغبة في الفكاهة فاستدعاها ليسألها : «كيف حالك يا بنت حام»؟ وهو يعلم أي جواب سيعقبه هذا السؤال ..

وفارغة بنت عبدالرحمن الحارثية التقى بها معاوية في محلة من محال العرب فسألها عن العرب ، وعن قريش ، وحين استلمح حديثها نزل عندها وطلب غــداء[2] . هذه المرأة صادفها معاوية وقد قام بجولة يتفقد فيها أحياء العرب في بطاح الجزيرة بعيداً عن الكوفة والبصرة .

كنا نستطيع أن نقول إن ما يجمع هؤلاء النسوة ليس الوفود على معاوية من البصرة والكوفة ، ولكن حب علي والولاء له . ولكن بعضاً منهن لم يكن هذا شأنه ، مثل أخت عبد الله بن عامر بن ربيعة التي جاءت إلى معاوية تستعديه على أخيها[3] ، ومثل امرأة أبي الأسود التي وفدت على معاوية متظلمة من زوجها[4] . ومثل هاتين المرأتين امرأة ذكوانية وفدت على معاوية تشكو واليه زياد بن أبيه ، وتطلب إلى معاوية أن يرد لهــا حقها الذي اغتصبه زياد[5] . لم يرد في خبر هذه المرأة ما يشير إلى ولاء لعلي أو غيره ، كل ما في الأمر أنها تعرف جيداً حق الوالي على الرعية والرعية على الوالي ، فتطلب من معاوية أن يكون منصفاً ، وتذكره بالساعة التي سيقف فيها بين يدي ربه فيسأله عن عمله، وما اكتسبه في حق الرعية .

مما تقدم نلاحظ أنه لا يوجد توافق كامل بين عنوان الكتاب ومضمونه، فليس كل هؤلاء النسوة وافدات من البصرة والكوفة على معاوية ، بل ليس

---

(١) انظر ص ٤٠ .
(٢) انظر ص ٥٧ .
(٣) انظر ص ٧٩ .
(٤) انظر ص ٧٣ .
(٥) انظر ص ٦٠ .

كلهن وافدات على معاوية ، فهل روعي في هذه التسمية تغليب الأهم على المهم؛ فقد تقدم أن أهم الأخبار التي وردت في الكتاب هي أخبار الوافدات من البصرة والكوفة . أم أنه قصد بذلك إلى المشاكلة ؛ فهناك كتاب في الموضوع ذاته روي من الطريق ذاته عنوانه : « أخبار الوافدين من أهل الكوفة والبصرة على معاوية[1] » .

وأغلب الظن أن عنوان الكتاب من وضع متأخر ، استنتج واضعوه هذه التسمية من المنحى العام فيه ؛ فقد وفد أكثر النساء اللواتي ذكرت أخبارهن على معاوية لسبب أو لآخر ، وكان أعظمهن شهرةً أولئك اللواتي وردن من الكوفة والبصرة ، وحضرن معركة صفين ؛ ولذلك روعي في هذه التسمية أكثر الأخبار شيوعاً ، وانتشاراً ،وتداولاً بين الناس .

ولا مجال لأن نظن أن للكتاب اسماً آخر غير هذا الاسم إذا تذكرنا أنه ورد في الأصل المخطوط من غير عنوان ؛ وأن بروكلمان[2] أطلق هذه التسمية من العبارة التي أنهت كتاب الوافدين والذي كان ترتيبه قبل الوافدات في الأصل المخطوط : « يليه كتاب الوافدات جمع أبي الوليد العباس بن بكار الضبي ، رواية أبي القاسم التنوخي عن أحمد بن عبد الله الدوري ، عن شيوخه ، عنه.» ، ولو كان ذلك لما لجأ المعقب إلى هذا الاختصار ، ولوضع بين أيدينا العنوان بتمامه . إن مثل هذا الاختصار يؤكد لنا أن ما استنتجه بروكلمان كان صحيحاً ؛ وأن عنوان هذا الكتاب لا يختلف عن عنوان الذي تقدمه .

---

(١) انظر مصورة الصفحة الأخيرة من كتاب الوافدين .
(٢) انظر بروكلمان ٣/٣٧ .

مؤلف الكتاب :

نصت عبارة الأصل المخطوط أن جامع أخبار الكتاب هو العباس بن بكار الضبي .

ليست كثيرة الكتب التي تحدثت عن الرجل ، وهي بمجملها كتب في نقد الرجال وبيان حالهم ، وكان نصيب العباس بن بكار في هذه الكتب التجريح الشديد ، والتضعيف . قال الدارقطني : « كذاب » ! وقال العقيلي : « الغالب على حديثه الوهم والمناكير » . وبيّن الذهبي سبب اتهامه : « قلت : اتهم بحديثه عن خالد بن عبد الله ، عن بيان ، عن شعبة ، عن أبي جحيفة : عن علي مرفوعاً « إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ : يا أهل الجمع ، غضوا أبصاركم عن فاطمة حتى تمر على السراط إلى الجنة » .

وذكر الذهبي بعض ما رواه من حديث مسبوقاً بهذه العبارة : « ومن أباطيله » ، أو « من مصائبه » ، وحين نقرأ ما رواه من حديث نحسُّ أن الذهبي كان محقاً بما اتهم به هذا الرجل .

ويتابع ابن حجر الذهبي في قوله ، ويزيد : « قال أبو نعيم الأصبهاني يروي المناكير ، لا شيء » . ويذكر شيئاً من مناكيره .

ولعل ابن أبي حاتم كان أكثر المؤلفين اعتدالاً ، فقد مسه مساً رقيقاً من غير أن يكشف لنا حاله ، واكتفى بقوله : « سألت أبي عنه ، فقال : شيخ ».

والخلاصة التي نستطيع استنتاجها من كل ما ذكرته المصادر أن أبا الوليد العباس بن بكار الضبي كان من قدماء المؤرخين . ولد سنة ١٢٩ هـ وتوفي في البصرة سنة ٢٢٢ هـ ، مطعون في روايته للحديث . صنف كتاب « أخبار الوافدين والوافدات على معاوية بن أبي سفيان من أهل الكوفة

والبصرة[1] » • فهل صحيح أنه جمع أخبار الوافدين والوافدات أم هناك شك في نسبة الكتاب •

الشك في نسبـة الكتـاب :

بالإضافة إلى عدم التوافق بين عنوان الكتاب ومضمونه هناك ما يدعونا إلى الشك في نسبة الكتاب إلى العباس بن بكار الضبي ؛ منها ورود أخبار في الكتاب من طريق آخر غير طريق العباس بن بكار ، مثل خبر امرأة أبي الأسود، فقد رواه محمد بن زكريا الغَلابي[2] عن شيوخه ، وليس فيهم العباس بـن بكار ، وكذلك حديث أمامة بنت يزيد بن الصعق رواه محمد بن زكريا الغَلابي عن شيوخه وليس فيهم العباس بن بكار •

وفي بداية الكتاب ما يدعونا إلى الشك في نسبته إلى العباس بن بكار : الكتاب من روايــة أبي القاسم التنوخي عن أبي بكر الدوري[3] ولأبي بكر الدوري إلى الكتاب ثلاثة طرق ، اثنان منهما يتصلان بالعباس بن بكار الضبي بواسطة محمد بن زكريا الغلابي ، والثالث يلتقي بالعباس بن بكار الضبي ، والحسين بن أسد الطفاوي بواسطة أبي سعيد العدوي •

وعهدنا بمؤلفي الكتب أن تروى كتبهم عنهم من طريق أو أكثر ، أما طرقهم هم إلى الأخبار فكثيرة ؛ ولكن ما يفجأنا أن الدوري يروي الكتاب

---

(1) انظر الجرح والتعديل٦/٢١٦ ، وميزان الاعتدال٢/٣٨٢ ، والضعفاء للعقيلي ق ٣٣٠ ، ولسان الميزان ٣/٢٣٧ ، والضعفاء والمتروكين من ١٩ ب (خ ظاهرية مجموع ١٢٤)
وانظر بروكلمان ٣/٣٧ ، والأعلام ٣/٢٥٩

(2) الغَلابي : بفتح الغين واللام الف المخففة وفي آخرها الباء الموحدة هذه النسبة إلى غلاب اسم لبعض أجداد المنتسب إليه محمد بن زكريا بن دينار الغلابي البصري • من أهل البصرة ، عرف بزكرويه • يروي عن العباس بن بكار • توفي سنة ٢٩٨ هـ • الأنساب ٩/١٩٣ ، واللباب ٢/٣٩٥ وكنيته في المصدرين : « أبو بكر » وانظر الأعلام ٣/٣٩٥ ، فقد وردت كنيته فيه على الصواب : « أبو عبد الله » ، كما وردت في أصل الكتاب •

(3) انظر تعريفاً به في ص ٢١ من هذا الكتاب •

عن اثنين أحدهما العباس بن بكار ، بعد أن ذكر طريقين روي بواسطتهما الكتاب عن العباس بن بكار .

وهذا يجعلنا نظن أن الكتاب ليس من جمع العباس بن بكار ، وكذلك فإنه ليس من جمع الغَلابي لأن الدُّوري رواه من طريق ليس فيه الغَلابي[1]. وأكبر الظن أن أخبار هذا الكتاب من جمع أبي بكر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن يزيد بن خلين الدوري الوراق ، رواه عنه أبو القاسم التنوخي ، وسمعه من لفظه وأصل كتابه ، وعارضه بكتابه في شوال سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ، وهذا ما جاء صراحة في بداية الكتاب ، وهو معنى العبارة التي تتصدر أكثر الأخبار : « وبإسناده عن العباس بن بكار » ، أو : « وبالإسناد الأول عن العباس بن بكار » يقصد بذلك إسناد الدوري الذي ذكره في بداية الكتاب . أما إذا لم يكن الخبر من طريق العباس بن بكار فإن الدوري يثبت إسناده كله في بداية الخبر[2] .

ولا يوجد ما ينفي أن يكون الدوري جامعاً للكتاب ؛ فهو الذي يطالعنا اسمه في صدر كل سندٍ من أسانيد الأخبار ، وهو الذي تعددت طرقه إلى هذه الأخبار شأنه في ذلك شأن كل المؤلفين .

قد يكون للعباس بن بكار كتاب في مثل هذا الموضوع رويت أكثر أخبار الكتاب من طريقة ، وقد يكون للغلابي هو الآخر كتاب في الموضوع ذاته . ولكن هذا الكتيب الصغير ليس لواحدٍ من الرجلين ، والأغلب أنه من جمع الدوري .

أما نسبة الكتاب للعباس بن بكار فقد استنتجت من العبارة : « وبإسناده عن العباس بن بكار » ، وما أشبهها التي تتردد في بداية الأخبار . ونظراً لأن

(١) انظر ص ٢٢ ، و٢٣ .
(٢) انظر ص ٧٣ ، ٧٨ ، ٧٩ .

العباس بن بكار أكثر شهرةً من أبي بكر الدوري فقد عرف الكتاب بـه ، ونسب إليه .

صلة الحافظ ابن عساكر بالكتاب :

للحافظ ابن عساكر إلى كتاب الوافدات طريق معروف ، وكنا نظن أنـه سيترجم كل النسوة اللواتي وفدن على معاوية في دمشق ، وعددهن اثنتا عشرة امرأة ، ولكن الحافظ لم يترجم في تاريخه الكبير سوى عشر نسوة وأهمل اثنتين ، ولم يرو من طريق كتابنا سوى خمس نسوة والخمس الباقيات روى أخبارهن من طرق أخرى(١) .

إن تفضيل طريق على طريق أمر يخص الحافظ وحده ، ولكن لماذا أهمل ذكر امرأتين دخلتا دمشق وورد ذكرهن في كتاب له إليه طريق معروفة ؟ .

انه أمر جديد بالاهتمام ، فكم من امرأة مجهولة دخلت تاريخ دمشق من أجل خبر صغير روته لها المصادر ، بل ربما أعاد خبراً لا نجده ذا بال ، ونلاحظ أن قصده في ذلك إضحاكنا ، فلماذا أعرض عن بعض هؤلاء الوافدات ؟!

الجواب على سؤالنا يأتي من تراجم نساء التاريخ أنفسهن .

لا يروي ابن عساكر ما لا يقبله العقل ، ولا يروي ما يتعارض مع منطق التاريخ العربي إلا من قبيل الفكاهة ، وهو جريء غاية الجرأة في رواية الأخبار التي تعمق مجرى الأحداث التاريخية ، وتلقي الضوء على كثير من جوانبهـا الغامضة . من هذا المنطلق روى خبر آمنة بنت عمرو بن الشريد زوج عمرو بن الحمق ، ولم يرو خبر أروى بنت الحارث بن عبد المطلب ، وذلك لأن في خبر آمنة صورة المرأة الوفية لزوجها ، الجريئة في وجـه ظالمها ، أما أروى ففـي خبرها مع معاوية شتائم وإهانات ، وهتك للأعراض يقصد منه الهدم لا البناء، وهو إذ يسيء إلى معاوية لا يوجد فيه من الحقائق التاريخية والاجتماعية ما

---

(١) انظر تاريخ دمشق (تراجم النساء) ص ٤٣ ، ١٠٩ ، ١٧٨ ، ٢٥٤ ، ٤٧٨ ، ٥١٢ ، ٥٣٠ ، ٥٥٦ ، ٥٦٦ ، ٥٧٠ .

يرفع من شأن خصومه . فجدير بالحافظ الكبير ألا يرويه ، ولكنه يروي كلمات صادقة مؤثرة ، صدرت عن امرأة مفجوعة بزوجها ؛ يروي قول آمنة بنت عمرو بن الشريد لرسول معاوية حين وضع لها رأس زوجها في حجرها : « ارجع أيها الرسول إلى معاوية ، وقل له : أيتم الله ولدك ، وأوحش منك أهلك ، ولا غفر لك ذنبك » .

ذكر التاريخ أن أصحاب معاوية طاردوا عمرو بن الحمق بعد معركة صفين ، وذكر أن رأسه كان أول رأس حمل في الإسلام ، وذكر أيضاً أن عمرو ابن الحمق كان من أكبر رؤوس الفتنة زمن عثمان ، فلا بأس إذا أن يأتي ابن عساكر ليعمق هذا الحدث التاريخي ، ويستخرج منه العظة والعبرة .

وهكذا سواء كنا في معرض الحديث عن تاريخ دمشق ، أو عن غيره لا يسعنا في كل مجال إلا أن ننوه بفضل هذا الرجل ، ونشيد بذكره ، لحرصه على التاريخ العربي نقياً سليماً ، بعيداً عن كل الشبهات . وما أروع مقدرته في تمحيص الأخبار ، وإبعاد ما كان يقصد منه واضعوه إلى النيل من العظماء ، والحط من شأن دهاة العرب ، وقادة المسلمين .

من هذا المنطلق إذاً لم يترجم ابن عساكر كلَّ الوافدات على معاوية من النساء . وهل هناك دلالة أقوى من الوفود على معاوية ليقال إن المرأة دخلت دمشق . وليعد القارىء إلى خبر أروى بنت الحارث بن عبد المطلب ، وغيرها من النسوة اللواتي وفدن على معاوية ولم يترجمهن الحافظ في التاريخ فإنه سيدرك بقوة لماذا أعرض عنهن ، لأنه سيلاحظ آثار الوضع في هذه الأخبار ، وما قصد إليه واضعوها من تشويه التاريخ والإساءة إلى العظماء[1] .

صفة الأصل المخطوط :

الكتاب الذي أقدمه للقراء عن أصل فريد محفوظ في مكتبة الاسكوريال في مدريد تحت رقم ٤٦٧ ضمن مجموع يسبقه كتاب : « الوافدين من

---

(١) انظر حديث أروى بنت الحارث ص ٤٧ .

الرجال من أهل البصرة والكوفة على معاوية . ويسبق كتاب الوافدين كتاب « الملاحن » .

وقد أدرج كتاب الوافدات ضمن هذا المجموع من غير عنوان سوى ما تقدمه في نهاية كتاب الوافدين :

« كتاب الوافدات جمع أبي الوليد العباس بن بكار الضبي ، رواية أبي القاسم التنوخي عن أحمد بن عبد الله الدوري عن شيوخه عنه . ويبدو من المصورة التي بين يدي أن الأصل المخطوط في حالة جيدة سوى ما أصاب أوراقه من اضطراب جعل بعضها يأتي في غير موضعه الطبيعي . وما عدا هذا الاضطراب فإن المصورة تدل على أصل سليم خال من الطمس والخرم والبلى، كامل واضح البداية والنهاية يبدأ بالطرق التي روت الكتاب ، وينتهي بـ « تم الكتاب والحمد لله وحده ، وصلى الله على محمد ، بلغ مقابلة » .

النسخة مقابلة إذاً ، ولكننا لا نعرف اسم الناسخ ولا نجد عليها أثراً لسماع أو سامعين ، وهي من رواية أبي القاسم التنوخي عن أبي بكر أحمد بن عبد الله الدوري .

أما خط النسخة فهو نسخ عادي قديم من خطوط أوائل القرن الخامس نصف منقوط ، خال من الضبط ، لا يختلف في الرسم الإملائي عما عرف في ذلك العصر فهو لا يثبت الهمزة ويحذف الألف اللينة في وسط الكلمة ويضطرب اضطراباً كبيراً في رسم الألف في آخر الكلمة(١) .

عدد أوراق الأصل (١٩) ورقة ذات وجهين مسطرتها تتراوح بين ١٥و١٦ في الصفحة الواحدة .

وهو بشكل عام أصل جيد لأنه قليل التصحيف والتحريف ، ويكاد يكون خالياً من السقط ، وتبدو جودته لدى مقارنته بغيره من المصادر التي روت بعض أخبار الكتاب من الطريق ذاته .

---

(١) من أمثلة ذلك : « جرا واعطى ونبلو » يرسمها : « جرى واعطا ونبلوا » .

وبعـــد

فقد وضعت في مقدمتي هذه خلاصة ما ضمه الكتاب ، وما قالته المصادر في مؤلفه ، وعبرت عن إحساسي بالشك في نسبة الكتاب إلى العباس بن بكار، وقدمت الأدلة على هذا الشك ، وتحدثت عن صلة الحافظ ابن عساكر بالكتاب، وعن شيء من منهجيته في اختيار الأخبار .ثم وصفت الأصل المخطوط بعد تجربتي فيه ، ومعاناتي منه .

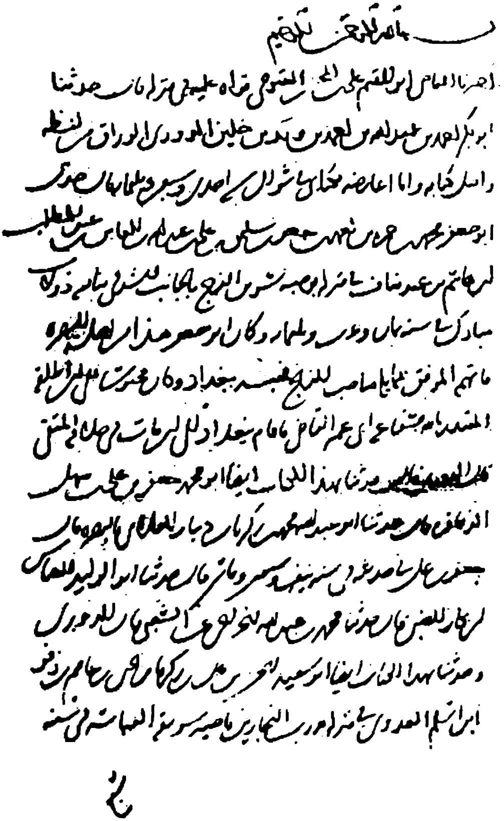
وإذا كان التحقيق يعني أن نقدم للقارىء نصاً ، واضحاً ، مفهوماً خالياً من الخطأ ، هو صورة أقرب ما تكون إلى ما كتبه المؤلف فقد جهدت والله أن أفعل هذا على الرغم من رداءة الخط وخلوه من الاعجام والضبط .

فإن تكن في عملي إصابة فتوفيق الله ؛ وإن يكن سهو أو خطأ فعزائي أنه في سبيل البحث عن الصواب .

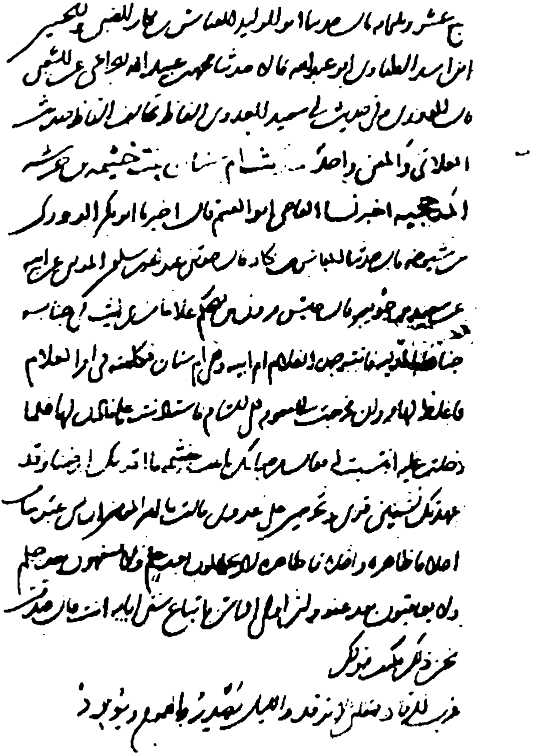
وتحية إكبار وتقدير إلى أساتذتي في مجمع اللغة العربية ، وأخص من بينهم سيادة رئيس المجمع الدكتور حسني سبح وسيادة نائب الرئيس الدكتور شاكر الفحام وسيادة الأمين العـــام الدكتور عدنان الخطيب ، ولـــن أنسى ما تفضلوا به علي في هذا العمل ، وما كانت لهـــم من جهود طيبة في إحياء تراثنا العربي وتشجيع العاملين به .فلهم مني أوفى عبارات التقدير والاحترام .

١٩٨٢/١٠/٢٩

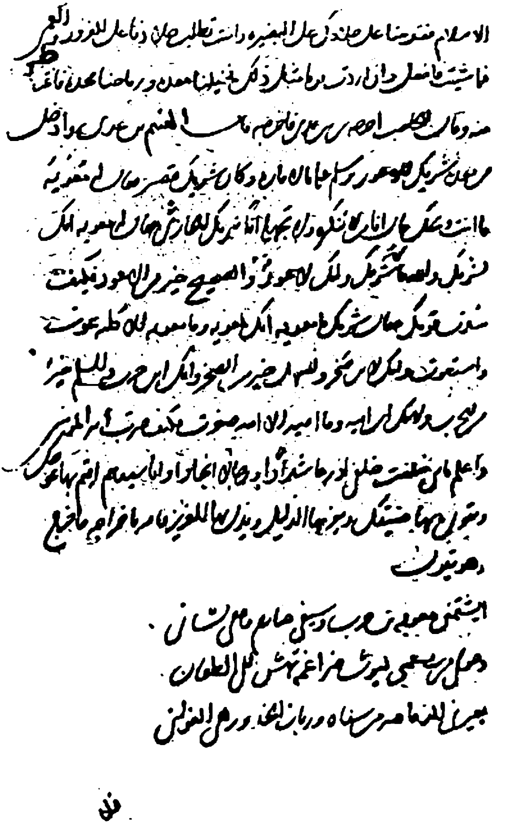
سكينة الشهابي



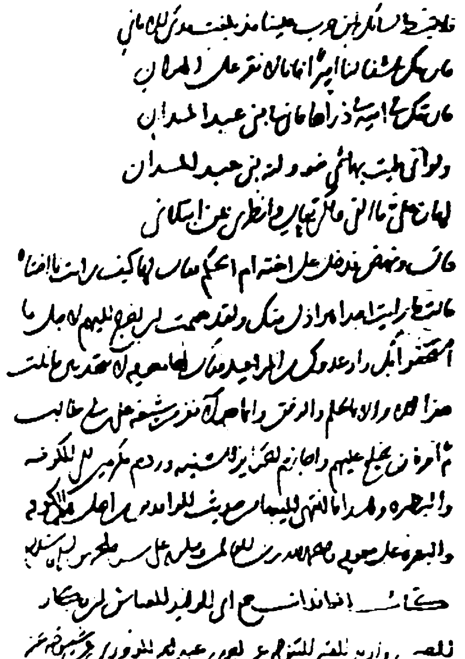
صورة الصفحة الأولى من كتاب الوافدات



صورة الصفحة الثانية من كتاب الوافدات



الصفحة قبل الأخيرة من كتاب الواقدين



صورة الصفحة الأخيرة من كتاب الوافدين

بسم الله الرحمن الرحيم

أخبرنا القاضي أبو القاسم علي بن المحسن التّنوخي قراءةً عليه في منزله ، قال : حدثنا أبو بكر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن يزيد بن خلين[1] الدوري الوراق من لفظه وأصل كتابه وأنا أعارضه بكتابي في شوال سنة إحدى وسبعين وثلاثمائة ؛ قال : حدثني أبو جعفر محمد بن حمزة بن أحمد بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف،في منزله بر َحْبة بِشر بن الفَرَج بالجانب الشرقي بناحية د َولاب مبارك[2] في سنة ثمان وعشرين وثلاثمائة ــ وكان أبو جعفر هذا من أهل البصرة فاتهمه الموفق بممايلة[3] صاحب الزّنج ، فحبسه ببغداد ، وكان محبوساً إلى أن أطلقه المقتدر بالله بشفاعة أبي عمر القاضي ، فأقام ببغداد إلى أن مات في خلافة المتقي.

قال الدّوري : حدثنا بهذا الكتاب أيضاً أبو محمد جعفر بن علي بن سهل الدقّاق ، قال :

حدثنا أبو عبد الله محمد بن زكريا بن دينار الغَلابي بالبصرة ــ قال جعفر بن علي في حديثه : في سنة نيّفٍ وسبعين ومائتين ــ قال : حدثنا أبو

---

(١) كذا في الأصل . وسيلي كذلك في أكثر من موضع . وفي تاريخ دمشق ١٧٨ ، ٥١٢ « تراجم النساء » : (أحمد بن عبد الله بن جلين الدوري) ولعله الصواب فهو يوافق ما أورده الذهبي في ترجمته انظر ميزان الاعتدال ١/١٠٩ ، ولسان الميزان ١/١٩٦ ، وقال الخطيب في التاريخ ٤/٢٣٤ : « احمد بن عبدالله بن خلف ، أبو بكر الدوري الوراق ، حدثنا عنه أبو القاسم التنوخي ، توفي سنة ٣٧٩ هـ » ، فالله أعلم بالصواب .

(٢) دَولاب ــ بفتح أوله ، وأكثر المحدّثين يروونه بالضم ــ ودولاب مبارك موضع في شرقي بغداد ينسب إليه عدد من المحدثين « معجم البلدان » .

(٣) كذا . والذي يصح في موضعه « بممالأة » . مالأت فلاناً إذا عاونته وظاهرته. أما « مايل » فعرف لها معنى آخر لا يصح في هذا الموضع . وربما كانت اللفظة مقلوبة .

الوليد العباس بن بكار الضَّبي ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله الخُزاعي ، عن الشعبي :

قال الدوري : وحدثنا بهذا الكتاب أيضاً أبو سعيد الحسن بن علي بن زكريا بن يحيى بن عاصم بن زُفَر بن أسلم العَدوي في منزله بدرب التجارين ناحية سويقة العباسة في سنة سبع عشرة[1] وثلاثمائة ، قال : حدثنا أبو الوليد العباس بن بكار الضبي ، والحسين بن أسد الطّنفاوي ، أبو عبد الله ، قالا : حدثنا محمد بن عبيد الله[2] الخُزاعي عن الشعبي •

قال الدُّوري : وفي حديث أبي سعيد العَدوي ألفاظ تخالف ألفاظ حديث الغلابي والمعنى واحد •

★ ★ ★

(١) في الأصل : « سبع عشر » •

(٢) تقدم في الصفحة أعلاه : « عبد الله » ، وستضطرب رواية هذا الاسم •

١ ـ حديث أم سنان بنت خَيثمة بن خَرشة المذْحجية*

أخبرنا القاضي أبو القاسم ، قال : أخبرنا ابو بكر الدوري عن شيوخه ، قال : حدثنا العباس بن بكار ، قال : حدثني عبد الله(١) بن سليمان المديني ، عن أبيه ، عن سعيد بن جويبر(٢) ، قال :

حبس مروانُ بن الحكم غلاماً من بني ليث في جناية جناها بالمدينة ، فأتتْه جدة الغلام أمُّ أبيه ، وهي أمُّ سِنان ، فكلمته في أمر الغلام ، فأغلظَ لها مروانُ . فخرجتْ إلى معاوية إلى الشام ، فاستأذنت عليه ، فأذن لها ، فلما دخلت عليه انتسبت له ، فقال : مرحباً بك يا بنت خَيْثمة ، ما أقدمك أرضنا وقد عهدتك تَشْنئين قُرْبي(٣) ، وتُحرِّضين عليَّ عدوي ؟

قالت : يا أمير المؤمنين ، إن لبني عبد مناف أحلاماً(٤) ظاهرةً ، وأخلاقاً طاهرةً : لا يجهلون بعد علمٍ ، ولا يسفهون بعد حِلم ، ولا يعاقبون(٥) بعد عفْوٍ ، وإن أوْلى الناس باتباع سُنن آبائه أنت .

---

* حديث أم سنان مع معاوية في بلاغات النساء ٩٢ ، والجليس والأنيس غ وعنه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٥٣٠ (تراجم النساء) ، وعن ابن عساكر المالقي في الحدائق الغناء ٨١ ، والخبر في المصادر المتقدمة من طريق العباس بن بكار . وهو من غير إسناد في العقد الفريد ١/٢٣١ ، وصبح الأعشى ١/٢٥٧ ، وهناك خلافات في الرواية أثبت منها ما بدا لي ذا غناء .

(١) في تاريخ دمشق والحدائق الغناء : « عبيد الله » ، وما في الأصل يوافقه البلاغات

(٢) في تاريخ دمشق والحدائق : « سعد بن حذافة » ، وفي البلاغات : « سعيد بن حذافة » ، وفي العقد : « سعيد بن أبي حذافة » .

(٣) اي تبغضين . وفي تاريخ دمشق : « تشنئين قومي وتحضين » .

(٤) في تاريخ دمشق : « أعلاماً » .

(٥) في تاريخ دمشق « يتعقبون » ، وتعقبته إذا طلبت عورته وعثرته .

قال : صدقت ، نحن كذلك[1] . فكيف قولك ؟

عَزَبَ الرُّقادُ فَمُقْلتي لا[2] ترقُدُ
والليلُ يُصْدِرُ بالهُموم ويُوردُ
يا آلَ مَذْحِجَ لا مُقامَ فشمِّروا
إنّ العدُوَّ لآلِ أحمدَ يقصُدُ
هذا عليٌّ كالهلال تحفُّهُ
وَسطَ السماءِ من الكواكب أسعُدُ
خيرُ الخَلائفِ[3] وابنُ عمِّ محمدٍ
فكفَى بذاكَ لمن شَنَاهُ[4] تهدُّدُ
ما زالَ مُذْ عرَفَ[5] الحروب مظفّراً
والنصرُ فوقَ لوائه ما يفقَدُ

قالت : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، وإنا لنطمع بك منه خَلَفاً[6]
فقال رجل من جلسائه : كيف يا أمير المؤمنين وهيَ القائلة ؟

إما هلكتَ أبا الحُسين فلمْ تزلْ ... بالحقِّ تُعْرفُ هادياً مَهْدِيّا
فاذهبْ عليكَ سلامُ[7] ربكَ مادعت ... فوقَ الغُصونِ حمامةٌ قُمْرِيّا
قدْ كنتَ بعد محمد خَلَفاً[8] لنا ... أوصى إليك بنا فكنتَ وفيّا
فاليومَ لا خَلَفٌ يؤمّلُ بعدَهُ ... هيهاتَ نأمُلُ[9] بعدَهُ إنسيا

---

(١) في الأصل : « ذلك » .
(٢) في تاريخ دمشق : « ما » .
(٣) في المصادر : « الخلائق » ، وفي روايتنا خلائف جمع خليفة .
(٤) في تاريخ دمشق : « بذلك في العدوّ » ، وفي صبح الأعشى والعقد : « إن يهدكم بالنور منه تهتدوا » .
(٥) في العقد وصبح الأعشى : « مذ شهد » .
(٦) في الأصل : « به منك » ، تصحيف . وفي تاريخ دمشق : « لنطمع بك خلفاً » وهو الصواب . وفي العقد : « وأرجو أن تكون لنا خلفاً » .
(٧) في المصادر : « صلاة » .
(٨) في الأصل : « خلف » .
(٩) في تاريخ دمشق : « نمدح » .

قالت : يا أمير المؤمنين ، لسان نطق ، وقول صدق ، وإن نحقق فيك ما أمّلناه فحظك الأوفر . والله ما أورثك الشّنآن[1] في قلوب المسلمين إلاّ هؤلاء ، فارفض[2] مقالتهم ، وأبْعِد منزلتَهم ؛ فإنّك إن فعلت ازددتَ من الله قُرْباً ، ومن المؤمنين[3] حباً .

قال : وإنك لتقولين ذلك ؟!

قالت : سبحانَ الله ! ما مِثْلُك مَنْ مُدِح بباطلٍ ، ولا اعتُذر إليه بكذبٍ ؛ إنك لتعلم ذلك من رأينا ، وضميرِ[4] قلوبنا . كان عليّ والله أحبَّ إلينا منكَ إذْ كان حيا ، وأنت في الأحياء أحبُّ إلينا من غيرك إن كنت باقياً[5] .

قال : فممن شكواك ؟

قالت : من مروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص .

قال : فيم استحققت ذلك عليهما ؟

قالت : بحسنِ حلمك ، وكريم طبعك ، وكثرة عفوك[6] .

قال : فإنهما ليعظمان حقي[7] !

قالت : هما والله لك على ما كنت عليه لعثمان .

قال : والله لقد صدقت[8] ، فما حاجتك ؟

---

(1) في الأصل : « أوددك » تحريف والشنآن : العداوة والبغض .
(2) في المصادر : « فادحض » .
(3) في تاريخ دمشق : « المسلمين » .
(4) في الأصل : « ضمر » ، وما أثبته لفظ العقد والتاريخ .
(5) في تاريخ دمشق : « إذ أنت باق » .
(6) في تاريخ دمشق : « وكرم عفوك » .
(7) في تاريخ دمشق : « ليطمعان في ذلك » ، وعبارة أصلنا هي الأشبه بالصواب ، يؤيد ذلك قولها التالي .
(8) في المصادر : « قاربت » .

قالت : إن مروانَ بن الحكم تَبنّكَ[1] بالمدينة تبنك من لايريد البَراح منهـا ، لا يحكمُ بعَدْلٍ ، ولا يقضي بسنة ؛ يتتبّعُ عثراتِ المسلمـين ، ويكشِفُ عوراتِ المؤمنين . حبسَ ابن ابني ، فأتيته ، فقال كيتَ وكيتَ . فألقمته أخشنَ من الحَجر ، وأمرّ من الدّفْلى[2] . ثم رجعت باللائمة على نفسي[3] في أمري ، فأتيتك يا أمير المؤمنين لتكون في أمري ناظراً ، وعليّ مُعدِياً .

قال : صدقتِ في مقالِك ، ولسنا نسألُكِ عـن ذنب ابن ابنك ، ولا القيامَ بحُجّةٍ[4] . اكتبوا لها بحاجتِها .

قالت : يا أمير المؤمنين ، وأنّى لي بالرَّجْعة ، وقد نفِدَ[5] زادي ، وكلّت مَطِيّتي[6] ؟

فأمر لها براحلةٍ موطّأة وخمسةِ آلاف درهم .

★ ★ ★

---

(1) تبنك بالمكان : « أقام » .
(2) في المصادر : « وألقمته أمرَّ من الصاب » . والعبارتان بمعنى . الدّفلى شجر مر ، وهي من السموم .
(3) في المصادر : « إلى نفسي باللائمة » .
(4) في تاريخ دمشق : « بحجته » .
(5) في الأصل : « نفذ » .
(6) في المصادر : « راحلتي » .

٢ ـ حديث أم الخير بنت الحريش بن سراقة*

وبإسنادهم عن العباس بن بكار ، قال : حدثنا عبد الله بن عمر(١) والغساني ، عن الشعبي ، قال :

كتب معاوية إلى واليه بالكوفة أن يحمل إليه أمَّ الخير بنت الحريش بن سُراقة، ويرحلها براحلة(٢) محمودة الصحبة، غير مذمومة العاقبة، وقال له : اعلم أني مجازيكَ بقولها فيكَ ، بالخيرِ خَيراً ، وبالشرِّ شرّاً .

فلما ورد عليه الكتاب ركِبَ إليها ، وأقرأها إيّاه ؛ فقالتْ : أمّا أنا فغيرُ زائغةٍ عن الطاعة ؛ ولا معتلّةٍ بكذب ؛ ولقد كنتُ أحبُّ لقاءَ أميرِ المؤمنين لأمور تختلجُ في مجرى النفس مني ، يغلي بها صدري كغلي المِرْجل(٣) يوقد تحته بجَزْل السَّمُر في الصيف . فلما حملها وأراد مفارقتها قال لها : يا أمَّ الخيرِ ، إن أميرَ المؤمنين قد ضمِن أن يجازيَني فيك بالخير خيراً ، وبالشر شراً ، فمالي عندكِ ؟ قالت : يا هـذا ، لا يطمِعَنّكَ برُّكَ بي في تذويق الباطل ، ولا يؤنسك(٤) بي معرفتي بك أن أقول فيك إلا الحق .

★ خبر أم الخير مع معاوية في : بلاغات النساء ٥٥ ، وتاريخ دمشق ٥١٢ « تراجم النساء » . والعقد الفريد ٣٣٧/١ ، وصبح الأعشى ٢٤٨/١ ، وفي هذه المصادر شيء من الخلاف في الرواية أثبت بعضه .

(١) كذا في الأصل . وفي بلاغات النساء وفي تاريخ دمشق : « عبيد الله بن عمر » ، وسيلي كذلك في ٦٣ ، وفي العقد : « عبد الله بن عمر » .

(٢) في تاريخ دمشق والبلاغات : « رحلة » .

(٣) رواية التاريخ : « لأمور تلجلج مني بمجرى النفس يغلي بها صدري غلي المرجل بحب البلس » .

(٤) لم تعجم النون في الأصل ، وما أثبته لفظ التاريخ وفي ، البلاغات : « تؤنسك » . وفي العقد وصبح الأعشى : « يؤيسك » .

قال : فسارت خيرَ مسير ، فلما قدمت على معاوية أنزلها مع الحُرَم ثلاثاً ، ثم أذن لها في اليوم الرابع ، وعنده جلساؤه ، فدخلت ، فقالت : السّلامُ عليك يا أميرَ المؤمنين ، فقال : وعليك السلام ، وبالرغم منك والله دعوتني أميرَ المؤمنين ، قالت : يا أمير المؤمنين مَهْ ، فإن بَديهة السلطان مَدْحضةٌ لما يجب[1] علمه . قال[2] : صدقت . كيف حالُك يا خالة ، وكيف كنت في مسيرك ؟ قالت : بخير لم أزلْ في عافيةٍ ، وسلامةٍ حتّى أدتني إليك الركاب، وأنا في عَيشٍ وملك رفيق فَتِيق[3] .

ثمّ قال معاوية : بحُسنِ نيّتي والله ظفِرْتُ بكم ، وأُعنْتُ عليكم . قالت : مَهْ يا أمير المؤمنين ، أعيذك بالله من خطل القول[4] ، وما تُردي عاقبته . قال : ليس لهذا أردناك . قالت له : فأنا أجْري في ميدانك ، إذا أجريتَ شيئاً أجريتُه ! ثم قالت : فاسأل عما بدا لك . قال : أخبريني كيف كان كلامُك يوم قتل عمّارُ بن ياسر ؟ قالت : لم أكن رويته قبل ، ولا درسته بعد، وإنها[5] كانت كلمات نَفَثَهُنَّ لساني حينَ الصدمة ، فإن أحببت أن أُحْدِثَ لك مقالا غيرَه فعلتُ . قال : لا أشاء . ثم التفتَ إلى أصحابه ، فقال : أيكم يحفظُ كلامَها ؟ فقال رجل من القوم : يا أميرَ المؤمنين ، أنا أحفظه كحفظي سورةَ الحمدِ ، قال : هاته . قال : نعم ، كأني بها في ذلك اليوم

---

(١) في البلاغات : « يحب » .

(٢) في الأصل والبلاغات : « قالت » .

(٣) كذا في الأصل ، ورواية البلاغات : « فأنا في عيش أنيق عند ملك رفيق » . وقريب منها رواية التاريخ . وفي العقد وصبح الأعشى : « فأنا في مجلس أنيق عند ملك رفيق » ، ولعل في عبارة الأصل سقطاً ، وتمامها : فأنا في عيش أنيق ، وعند ملك رفيق فتيق » . الفَتيق اللسان الحذاقي الفصيح ، ورجل فتيق اللسان على فعيل ، فصيحه ، وصبح فتيق ، مشرق .

(٤) في المراجع : « دحض المقال » ، والخَطَل: الهراء والكلام الفاسد .

(٥) في تاريخ دمشق : « رويته قبل ولا رويته بعد » . وفي العقد وصبح الأعشى : « لم أكن زورته قبل ، ولا رويته بعد ، وإنما .. » .

وعليها برد زَبيدي[1] كثيفُ الحاشيةِ ، وهي على جملٍ ، وبيدها سَوْطٌ، منشورة الظفيرة[2] ، وهي كالفحل يهدِر في شِقْشِقتِه[3] ، وهي تقول :

«[يا] أيها الناسُ اتقوا ربّكم إنّ زَلْزَلَةَ الساعةِ شيءٌ عظيم»[4] إن الله عز وجل قد أوْضحَ الحقَّ ، وأبان الباطل ، ونوّرَ السبلَ ، ورفعَ العلمَ ، فلم يَدَعْكم في عمياء مُشْتَبِهة ، ولا عَشْواء[5] مدلهِمَّة ، فإلى أين تريدون رحِمَكُم الله ؟ أفِراراً من أمير المؤمنين ، ومن الزحف ؟ أم رَغبةً عن الإسلام ؟ أم ارتِداداً عن الحقّ ؟! ، أما سمعْتُم الله تعالى يقول : « ولَنَبْلُونَّكُم حتّى نَعْلَمَ المجاهِدينَ مِنْكُم والصابرينَ ، ونبلو[6] أخبارَكُم[7] » ، ثمّ رفعتْ رأسَها إلى السماء وقالت : اللهم إنّه قد عِيل الصبرُ ، وضعُف اليقين ، وانتشرت الرَّغْبة ، وبيدك يا ربّ أزِمّةُ القلوب، فاجمع اللهم الكلمةَ على التّقْوى ، وألّف القلوبَ على الهدى ، واردد الحقّ إلى أهلـه ، هلمّوا ، رحِمكم الله ، إلى الإمام العَـدْل ، والتقي الوفي ، والصّديق الوَصِيّ ، إنها إحنٌ بدرية ، وضغائن جاهلية ، وأحقاد أُحُدِيّة، وثب بها معاويةُ عند الغفْلَة ، ليُدْرِك بها الفرصة من ثارات بني عبد شمس. ثـم قالت : « قاتِلوا أئِمّةَ الكُفْرِ إنّهم لا أيْمانَ لَهُمْ ، لَعَلّهـم يَنْتَهُون[8] » ؛ صَبْراً معاشرَ المهاجرين والأنصار ، قاتلوا على بصيرةٍ من ربكـم ، وثَبَاتٍ من دينكم ، وكونوا قوماً مُسْتَبصرين[9] ، فكأني

---

(١) زبيدي ، نسبة إلى زبيد اليمن .
(٢) في تاريخ دمشق : « منتشر الضفر » ، وفي العقد : « منتشر الضفيرة » . ولعله الفصيح ووقعت الظاء في اللفظة بدل الضاد في الأصل .
(٣) يقال للفصيح : هدرت شقشقته ، وأصلها لهاة الفحل ولا تكون إلا للعربي .
(٤) سورة الحج ٢٢ آية ١ .
(٥) العشواء والعشوة : « الظلمة » .
(٦) في الأصل : « ونبلوا » .
(٧) سورة محمد ٤٧ آية ٣١ .
(٨) سورة التوبة ٩ من الآية ١٢ .
(٩) هو مستبصر في دينه وعمله اي عالم به .

بكم وقد لقيتم أهلَ الشام كحُمُر مُسْتَنْفِرة[1] ، لا تدري أين يُسْلَك بها من فِجاج الأرض، باعوا الآخرةَ بالدنيا ، واشتَروا الضلالة بالهُدى ، وباعوا البصيرةَ بالعَمَى ، وعما قليلٍ لتصبحن[2] نادمين حين تحل بكم الندامة فتطلبون الإقالة ، « ولات حين مناص[3] » . إنه والله من ضلَّ عن الحقّ وقع في الباطل ، ومن لم يسكن الجنّةَ نزل النارَ . أيّها الناسُ ، إن الأكياسَ استقصروا عمر الدنيا فرفَضُوها ، واستطالوا[4] مُدّة الآخرة فسعَوْا لها سَعْياً ، وابتاعوا بدارٍ لا يدوم نعيمُها ، ولا تتصرم همومها . أيها الناس ، إنه لولا أن يبطُل الحق ، وتعطّلَ الحُدود ، ويظهرَ الظالمون ، وتقوى كلمةُ الشيطانِ لما اخترنا ورودَ المنايا على خَفْض العيش وطيبه . فإلى أين تريدون ، رحمكم الله ؟ أفراراً عن ابن عم رسول الله ﷺ ، وزوج ابنته ، وأبي سِبْطيه[5] . خُلِقَ والله من طينته ، وتفرّع من نَبْعته ، وخصّه بسرّه ، وجعله باب مدينته ، وعم[6] بحبه المسلمين ، وأبان ببغضه المنافقين . فلم يزل كذلك حتى أيده الله بمعونته ، يمضي على سنَن استقامته، لا يعرّج لراحة اللذات ، ها هو مفلّقُ الهام ، ومكسّرُ الأصنام ، صلى والناس مشركون ، وأطاع والناس مخالفون مرتابون ، فلم يزلْ كذلك حتى قتلَ مبارزي بدرٍ ، وأفنى أهلَ أُحُدٍ ، وهزم الله به الأحزاب ، وقتل أهل خيبر ، وفرق به جمع هوازن ؛ فيالها من وقائع زرعت في قلوب قومٍ نفاقاً، ورِدّةً وشِقاقاً !

---

(١) اقتباس من الآية الكريمة : كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة » .

(٢) في المصادر : « ليصبحن » ، وبهذه الرواية تكون الآية ٤٠ من سورة المؤمنين ٢٣ .

(٣) سورة ص ٣٨ من الآية ٣ .

(٤) في البلاغات والعقد وصبح الأعشى : « واستبطئوا » .

(٥) في المراجع : « أبنيه » .

(٦) كذا ، وفي التاريخ : « أعلم » ، وهي الاشبه ، أي جعل حب علي علامة للمسلمين يتميزون بها عن المنافقين بقوله ﷺ : « لا يحب علياً منافق ، ولا يبغضه مؤمن » ، انظر جامع الاصول ٦٥٦/٨ . وفي بلاغات النساء : « وعلم » .

قد اجتهدتُ في القولِ ، وبالغتُ في النصيحةِ ، وبالله التوفيق ، والسلام عليكم ورحمة الله ، وبركاته .

فقال معاوية : يا أمَّ الخيرِ ، والله ما أردتِ بهذا الكلام إلا قتلي ، ولو قتلتكِ لما حرِجْتُ في ذلك !

قالت : إنه والله ، إنه ليسرني[1] أن يُجْرِيَ اللهُ قَتْلي على يَدَيْ من يُسْعِدني الله بشقائه .

فقال : هيهاتَ يا كثيرةَ الفُضُول ! ما تقولين في عثمان بن عفان ؟

قالت : وما عسيتُ أن أقول فيه ؟ استخلفه الناس وهم راضون بـه وقتلوه وهم له كارهون[2] .

ثم قال معاوية : هذا والله أصلكِ الذي تبنين عليه .

قالت : لكن الله يشهد ، وكفى به شهيداً ، إني ما أردتُ بعثمان نقصاً ، ولقد كان سبّاقاً إلى الخير ، وإنه لرفيع الدرجات غداً .

قال : فما تقولين في طلحة بن عبيد[3] الله ؟

قالت : وما عسيتُ أن أقول فيه ؟ اغتِيلَ من مَأْمَنه ، وأُتيَ من حيث لم يَحْذَر ، ووعده رسول الله ﷺ الجنة .

قال : فما تقولين في الزبير ؟

قالت لا تَدَعْني يا معاوية أرجع كَرَجيع الثوب الصَّبيغ يُعْرَكُ في المِرْكَن .

قال : حقاً لتقولن[4] .

---

(١) في المصادر : « والله ما يسوءني » .
(٢) في البلاغات وصبح الأعشى : « استخلفه الناس وهم كارهون ، وقتلوه وهم راضون » .
(٣) في الأصل : « عبد » .
(٤) في الأصل : « حقا تقولين » .

قالت : وما كنت أقول في الزبير ابن عمة رسول الله ﷺ ، وحواريّه، وقد شهد رسول الله له بالجنة ، ولقد كان سبّاقاً إلى كل مكرُمة في الإسلام ، وأنا أسألك يا معاوية الإعفاء ، فإن قريشاً يزعمون أنك من أحلمها ، وأعقلها ، وأن يسعني فضلُ حلمك ، وأن تعفيني من هذه المسائل وامض لما شئت .

قال : نعم ، ونُعْمةَ عينٍ[1] ، قد أعفيتك . ثم أمر لها بصلة ، وجائزة وردها مكرّمة .

★ ★ ★

(١) نُعمة العين : قرتها . والعرب تقول : نُعم وُنعم عين ، ونعمة عين ، ونُعمة عين ، ونِعمة عين ونُعمى عين ، ونَعام عين ، ونُعام عين ، ونعامة عين ، ونعيم عين ، اي افعل ذلك كرامة لك وإنعاماً بعينيك .

٣ ـ حديث جَرْوة بنت مرة بن غالب التميمية*

وبهذا الإسناد عن العباس بن بكار، قال حدثني عبد الله بن سليمان المدني(١)، عن أبيه وسهيل بن أبي سهيل، عن أبيه، عن عمته، قالت:

احتجم معاوية بالمدينة، فلما أمسى أرق أرقاً شديداً، فأرسل إلى جروة بنتِ مرّة بن غالب التميمية، وكانت مجاورة بمكة، وهي من بني أُسَيِّد بن عمرو بن تميم(٢)، فلما دخلت عليه، قال لها:

مرحباً بك يا جَرْوة، أرَعَبْناكِ؟ قالت: إي والله، لقد طرقت في ساعة لا يطرق فيها الطير في وكره فأرْعَبَ قلبي، وأرْعَبَ(٣) صبياني(٤)، وأفزعت عشيرتي، وتركت بعضهم يموجُ في بعضٍ، يراجعون القولَ، ويدبرون(٥) الرأي، خشيةً منك، وشفقةً عليّ.

فقال معاوية: لتسكنْ روعتُك، وتطبْ نفسك(٦)، فإن الأمر على محبّتِك.

★ حديث جروة مع معاوية في بلاغات النساء ١٠٧، وجَرْوة: ـ بضم الجيم ـ كذا ورد هذا الاسم مضبوطاً في نسب تميم. انظر مختلف القبائل ١١، ٢٥، ٤٥: « جروة بن أسيد بن عمرو بن تميم ». وفي اللسان والتاج والقاموس: « بنو جِروة: بطن ». وفي جمهرة أنساب العرب ٢١٠: « جردة بن أسيد بن عمرو بن تميم »، ولم أجد فيه من سمي « جروة »، ولا أدري لعل « جردة » تصحيف، والصواب « جروة ». والله أعلم.

(١) في بلاغات النساء « المديني »، تقدمت نسبة هذا الشيخ المديني في (ص ٢٣)، والمدني ويقال: المديني نسبة إلى عدة من المدن الأولى مدينة رسول الله ﷺ.

(٢) انظر هذا النسب في مختلف القبائل لابن حبيب ٢٥، والإكمال ٦٨.

(٣) رعَبه يرعَبه رُعْبا ورُعُباً فهو مرعوب ورعيب: أفزعه، ورعّبه ترْعيباً وتَرْعاباً فرعب رُعبا وارتعب فهو مرعّب ومرتَعب أي فزع، ولا تقل أرعبه. كذا في اللسان، وفي المصباح المنير: يتعدى بنفسه وبالهمز أيضاً، فيقال: رعبته وأرعبته.

(٤) في البلاغات: « فأرعت قلبي، وريع صبياني ». انظر الحاشية السابقة.

(٥) اللفظة من غير إعجام في الأصل، وما أثبته رواية البلاغات.

(٦) في البلاغات: « ليسكن روعك، ولتطب ».

قالت : أحسنَ اللهُ بِشارتك ، وأدام سلامتك .

ثم قال : احتجمتُ ، فأعقبني ذلك أرَقاً شديداً ، فأرسلت إليك لتخبريني عن قومك .

قالت : عن أي قومي تسألني ؟

قال : عن بني تميم .

قالت : يا أمير المؤمنين ، هم أكثرُ الناس عَدَداً ، وأوسعُهم بلداً ، وأبعدهم أمداً ؛ هم الذّهبُ الأحمر ، والحسبُ الأفخرّ ، والعددُ الأكثر .

- قال : صدقت ، فنزليهم لي .

قالت : يا أمير المؤمنين ، أما بنو عمرو بن تميم فأصحاب بأس ونَجْدةٍ وحَشْدٍ (١) وشدة ، لا يتخاذلون عند اللقاء ، ولا تطمع فيهم الأعداء . سَلْمهم فيهم ، وسيفهم على عدوّهم ، ونِعْمَ القومُ لأنفسهم .

قال : صدقت .

قالت: وأما بنو سَعْد بن زيد مَناة ففي العَددِ الأكثرون، وفي الحسب الأطيبون ، يصبرون(٢) إن غضبوا ، ويُدْرِكون إن طَلَبوا . أصحاب سيوفٍ وجَحَفٍ (٣) ، ونِزالٍ ودَلْفٍ (٤) ، إلاّ أنّ بأسهم فيهم ، وسيفهم عليهم . وأما حَنْظَلَة فالبيتُ الرّفيعُ ، والحسبُ البديعُ ، والعزّ المنيعُ ، والمكرمون للجارِ ، والطالبون للثأر ، والناقضون الأوتار (٥).

---

(١) في الأصل : « خشد » ، تصحيف . وحشد القوم يحشدون حشداً ، وتحاشدوا ، واحتشدوا : اجتمعوا لأمر واحد . وفي البلاغات : « تحاشد » .

(٢) في البلاغات : « يضربون » ، وهي أقرب إلى الصواب في هذا الموضع .

(٣) الجحف : ضرب من الترسة واحدتها جحفة ، قال الأعشى :

لسنا بعير وبيت الله مائرة لكن علينا دروع القوم والجحف

(٤) الدلف : التقدم . دلفت الكتيبة إلى الكتيبة في الحرب ، أي تقدمت . وفي البلاغات : « زلف » .

(٥) في البلاغات : « والطالبون بالثأر ، والناقضون للأوتار .

فقال معاوية : إن حَنْظلة شجرةٌ تتفرّع فنزّليهم لي •

قالت : أما البَراجِمُ فأصابعُ مجتمعةٌ ، وأكف ممتنعة ؛ وأما بنو طُهيّة[1] فقومٌ هُوج ، وقِرْنٌ لَجُوج • وأمّا ربيعة فصخْرةٌ صمّاء ، وحية رقْشاء[2] ، يعتزّون بعزهم[3] ،ويفخرون بقومهم ؛ وأما بنو يَرْبوع ففرسان الرماح ، وأسود الصباح ، يعتنقون الأقران ، ويقتلون الأبطالَ والفرسان ؛ وأما بنو مالك فجمع غير مفْلول ، وعزّ غير مَنْحول[4] ، ليوث هرّارة[5]وخيول كرّارة ؛ وأما بنو دارم فكَرَمٌ لا يداني ، وعزّ لا يواتى[6] ، وشرف لا يُسامى •

قال لها معاوية : أنت أعلم الناس بتميم فكيف علمك بقيس ؟

قالت : كعلمي بنفسي •

قال : فأخبريني عنهم •

قالت : أما غَطَفان فأكثرُ سادةً ، وأمنع قادةً ؛ وأما فَزَارة فبيتُها المشهور ، وحسبُها[7] المذكور ؛ وأمّا ذبيان فخطباءٌ شعراء ، أعزّةٌ أقوياء؛ وأما عَبْس فحميّة[8] لا تُطْفأ ، وعقبة لا تُعلى ، وحية لا تُرْقى[9] ؛ وأما

---

(١) في الأصل : « طهبة » • تصحيف • وهو : طهية ـ كسمية ـ من بطون مالك ابن حنظلة المشهورة • انظرجمهرة أنساب العرب٤٦٧،والقاموس المحيط«طها» •

(٢) الرقشاء من الحيات المتلونة بسواد وبياض •

(٣) في البلاغات : « يغزون بغيرهم » •

(٤) في البلاغات : « مجهول » • وأرادت أن عزهم أصيل فيهم لم ينسبوه إلى أنفسهم كذباً كما ينحل الشاعر شعر غيره •

(٥) هرهرة الأسد ترديد زئيره • وكلب هرار : كثير الهرير • وكذلك الذّئب إذا كشر عن أنيابه •

(٦) في البلاغات : « يوازي » •

(٧) في الأصل : « حسنها » ، وما أثبته رواية البلاغات •

(٨) في البلاغات : « فجمرة » •

(٩) يقال : رقيت فلاناً : إذا تملقت ، وسللت حقده بالرفق كما ترقى الحية حتى تجيب •

هوازن فحِلم ظاهر ، وعزّ قاهر ؛ وأما بنو سليم ففرسان الملاحِم ، وأسود ضراغم ، وأما نُمَير فشوكة مسمومة ، وهامة ملمومة ، وآية مفهومة ؛ وأما هلال فاسم فَخْم ، وعزّ ضخم ، وأما بنو كلاب فعدد كثير وبحر ذخير ، وفخر أثير[1] ، وحكم كثير .

قال : فما تقولين في قريش ؟

قالت : هم ذروة السَّنام[2] ، وسادة الأنام ، والحَسَب القَمْقَام[3]

قال : ما تقولين في علي بن أبي طالب ؟

قالت : حاز والله الشرف حتى لا يوصف ، وغاية لا تعرف[4] . وبالله أسألك يا أمير المؤمنين إعفائي مما أتخوّف .

قال : قد فعلت ، وأمر لها بضيعةٍ فاخرة نفيسة غَلّتُها عشرة آلاف درهم ، وردّها إلى أهلها مكرمة .

★ ★ ★

(١) أي مأثور يتوارثه كابراً عن كابر .

(٢) في الأصل : « ذروة الشام » ، تصحيف ، والصواب من البلاغات . يقال هو سنام قومه .

(٣) القمقام : العدد الكثير . قال الشاعر : من نوفل في الحساب القمقام .

(٤) كذا ، ولعل « حتى » في العبارة المتقدمة تحريف صوابه « حداً » ، وسقطت « في » قبل لفظة الشرف ويكون الصواب : « جاز والله في الشرف حداً لا يوصف ، وغاية لا تعرف » ، كما في البلاغات .

٤ ـ حديث عكرشة بنت الأطش*

وبالإسناد الأول عن العباس بن بكار ، قال : حدثني عبد الله بن سليمان بن داود ، عن أبيه ،عن عكرمة ، قال :

دخلت عكرشة بنت الأطش على معاوية وهي متوكئة على عكازٍ لها ، فسلمت عليه بالخلافة ، فقال لها معاوية :

هيه يا عكرشة الآن صِرْتِ أميرَ المؤمنين ؟!

قالت : نعم إذ لا عليٌّ حيٌّ .

فقال لها معاوية: ألست صاحبة الكَوْر[١] المسدُول، والوسط المشدود، والمتقلدة بالسيف ذي[٢] الحمائل ، وأنت واقفة بين الصفّين يوم صِفّين تقولين :

أيّها الناس، عليكم أنفسَكُمْ ، لا يضرُّكم من ضل إذ اهتَدَيْتم[٣]، إن الجنةَ دارٌ لا يرحلُ من قطنها ، ولا يحزن[٤] مَنْ سكنها ، ولا يموتُ مَنْ دخلَها ، فلا تبيعوها[٥] بدارٍ لا يدوم نعيمها ، ولا تتصرّم[٦] همومها ،

★ خبر عكرشة بنت الأطش مع معاوية في : بلاغات النساء ٧٤ ، وتاريخ دمشق ٢٥٤ « تراجم النساء » ، والعقد الفريد ١/٣٣٣ ، وصبح الأعشى ١/٢٥٣.

(١) الكور : « الرحل » .

(٢) في الأصل : « ذا » .

(٣) في اقتباس من الآية ١٠٤ من سورة المائدة . والآية بلفظها في تاريخ دمشق .

(٤) في العقد وصبح الأعشى : « يهرم » .

(٥) في المصادر : « فابتاعوها » .

(٦) في المصادر : « تنصرم » .

فكونوا قوماً مستبصرين . إن معاوية دَلَف إليكم بعُجْم العرب ، غُلْف[1] القلوب ، لا يعرفون[2] الإيمان ، ولا يدرون ما الحكمة ، دعاهم بالدنيا فأجابوه ، واستدعاهم إلى الباطل فلبّوه . فالله ، اللهَ عبادَ الله في دين الله ، وإياكم والتواكلَ فإن ذلك نقضُ عُرى الإسلام وإطفاء نور الحقّ ، وإظهار الباطل ، وذهاب للسنة[3] . هذه بَدْرٌ الصغرى ، والعقبة الأخرى ، يامعاشر المهاجرين والأنصار امضوا على بَصيرتكم واصبروا على نياتكم[4] ، فكأني بكم غداً وقد لقيتُم أهلَ الشام ، وهم كالحمر الناهقة ، والبغال الشاحجة[5] يضجون ضجيج البقر ، ولا يروثون روث العتاق[6] .

فقال معاوية : وكأني أراكِ على عكازتك[7] هذه ، وقد انكفأ عليك العسكران يقولون : هـذه عكرشة بنت الأطش ! فإن كدت لتؤلبين عليّ[8] أهلَ الشام لولا ما قدر الله ، وما جعل لنا من هـذا الأمر ؛ وكان أمر[9] الله قدراً مقدورا .

ثم قال : ما حملك على ذلك ؟

قالت : يا أمير المؤمنين ، يقول الله ، عز وجل : « يا أيها الذين آمنوا

---

(١) قلب أغلف بين الغلفة ، كأنـه غشي بغلاف فهو لا يعي شيئاً ، وفي التنزيل العزيز : « وقالوا : قلوبنا غلف » .
(٢) في المصادر : « لا يفقهون » .
(٣) في التاريخ : « وإذهاب السنة » ، وفي البلاغات : « وذهاب السنة » .
(٤) تفرد الأصل بهذه الرواية ، وفي المراجع : « عزيمتكم » .
(٥) في التاريخ والبلاغات : « الشحاجة » .
(٦) في التاريخ : « تصفق ضفق البقر ، ولا تروب روب العتاق . وفي البلاغات « تضفع ضفع البقر ، وتروث روث العتاق » .
(٧) في التاريخ : « بك على عكازك » .
(٨) في التاريخ : « تلفتين عني » .
(٩) في الأصل : « قدر » ، تصحيف ، واللفظة كما أثبتها في المصادر .

لا تَسألوا عن أشياء إن تُبدَ لَكُمْ تَسُؤْكم[1] » . إن اللبيب إذا كره شيئاً لا يحبّ إعادته .

قال : صدقتِ ، اذكري حاجتك .

قالت : يا أمير المؤمنين ، إنّ الله تعالى جعل صدقاتِنا على فقرائنا ومساكيننا ، وردّ أموالنا فينا إلاّ بحقّها ، وإنّا فقدنا ذلك ، فما يَنْتَعِشُ لنا فقيرٌ ، ولا يَنْجَبِرُ[2] لنا كسير ، فإن كان ذلك من[3] رأيك فمثلك من انتبه من الغفلة ، وراجع العقل ، وإن كان عن غير رأيك فما مثلك من استعان بالخونة ، واستعمل الظلمة .

قال معاوية : يا هذه ، إنه تنوبنا النوائب هي أولى بنا منكم ، من بحورٍ[4] تنبثق ، وثغورٍ تنفتق !

قالت : يا سبحان الله ! ما فرض الله لنا حقاً جعل فيه ضرراً على غيرنا ، ولو علم جلّ ثناؤه أن في ما جعل لنا ضرراً على غيرِنا لما جعله لنا ، وهو علاّم الغيوب .

قال معاوية : هيهاتَ يا أهل العراق ! قد فقّهكم[5] علي بن أبي طالب فلن تطاقوا .

ثم أمر لها بردّ صدقاتها ، وإنصافها ، وضيّفها[6] ، وأطرفها[7] ، وردّها إلى أهلها مكرمة .

---

(١) سورة المائدة ٥ آية ١٠٠ .

(٢) في المصادر : ينعش .. يجبر » ، وكلاهما صحيح . جبرت العظم أجبره ، وانجبر ونعشه الله ينعشه نعشا وأنعشه ، وانتعش .

(٣) كذا ، وفي المصادر « عن » ، وهو الأشبه بالصواب .

(٤) في تاريخ دمشق : « نحور » . وقد بثق الماء وانبثق عليهم إذا أقبل عليهم ولم يظنوا به . وانبثق عليهم الأمر هجم من غير أن يشعروا به .

(٥) في العقد وصبح الأعشى : « تبهكم » .

(٦) ضيفته : أنزلته عليك ضيفاً ، وأملته إليك وقربته .

(٧) في الأصل : « واصرفها » ، ولعل الصواب ما أثبته ، يريد أنه حملها الطريف من الهدايا .

٥ ـ حديث دارمية الحَجونية*

وبالإسناد عن العباس بن بكار والحسين بن أسد الطفاوي قالا : حدثنا سهيل ابن أبي سهيل الهجيمي(١) التميمي ، عن أبيه عن عمته ، قالت :

حج معاويــة سنة من السنين فسأل عن امــرأةٍ من بني كنانة تنزل الجُحْفة(٢) يقال لها « دارمية الحَجُونيّة » ، وكانت امرأة سوداء ، كثيرة اللحم، فأخبر بسلامتها ، فبعث إليها ، فجيء بها ؛ فلما رآها قال لها :

كيف حالك يا بنت حام ؟ قالت : بخير ، ولست لحامٍ ، ولكني ابنة أبيك، ولن يضر المرء نسب أمه(٣) .

قال : صدقت ، فهل تعلمين لم بعثتُ إليك ؟

قالت : يا سبحان الله العظيم ، لا يعلم الغيب إلاّ الله .

قال : بعثت إليك أسألك علامَ أحببتِ علياً وأبغضتِني ، وعلام واليتِه وعاديتني ؟

قالت : أو تعفيني يا أمير المؤمنين من ذلك ؟!

★ خبرها مع معاوية في : بلاغات النساء ١٠٥ ، والعقد الفريد ٣٢٥/١ ، وصبح الأعشى ٢٥٩/١ ، وجمهرة خطب العرب ٣٨٥/٢ بخلاف في الرواية والحجونية نسبة إلى الحجون جبل بأعلى مكة .

(١) في الأصل : « الهجمي » ، تصحيف . الهجيمي ـ بضم الهاء وفتح الجيم ـ نسبة إلى محلة بالبصرة نزلها بنو الهجيم بن عمرو بن تميم .

(٢) الجحفة : كانت قرية كبيرة بين مكة والمدينة ، وكان اسمها مهيعة ، وإنمـــا سميت الجحفة لأن السيل اجتحفها وحمل أهلها في بعض الأعوام « معجم البلدان »

(٣) تريد أن أمها سوداء لا أباها . وفي البلاغات : « إنما أنا امرأة من قريش من بني كنانة ثمت من بني أبيك » ، وفي العقد وصبح الأعشى : « .. إن عبتني ، أنا امرأة من بني كنانة » .

قال : ما كنت بفاعلٍ ، ولا أُعفيك !

قالت : أما إذا[1] أبيت علي فإني أحببتُ علياً على عدلِه في الرَّعيـة ، وقِسْمتِـه[2] بالسَّوية ، وأبغضتُك على قتالِك من هو أولى بالأمر منك ، وطلبِك[3] ما ليس لك ، وواليتُ علياً على حبِّه المساكين ، وإعطائِه أهلَ السَّبيل ، وفِقْهه في الدين ، وبذْلِه الحقَّ من نفسه ، وما عقد له رسول الله ﷺ من الوِلاية[4] ، وعاديتك على إرادتِك الدنيا ، وسفكِكَ الدماءَ ، وشقِّكَ العصا .

قال معاوية : فلذلك انتفخ بطنك ، وكبر ثَدْيُك ، وعظمت عجزتك ؟

قالت : يا هذا ، بهندٍ والله يُضرب المثل[5] !

قال معاوية : يا هذه أرفُقي[6] فإني لم أقل إلا خيراً ، إنه إذا انتفخ بطن المرأة تم خلقُ ولدها ، وإذا كبر ثديها حسن غذاء ولدها[7] ، وإذا عظمت عجيزتها ثقـُل[8] مجلسها .

فرجعت وسكنت .

ثم قال لها معاوية : هل رأيت علياً قط ؟

قالت : أي والله لقد رأيته .

قال : كيف رأيتهِ ؟

---

(1) في المصادر : « إذ » .
(2) في المصادر : « قسمه » وهما بمعنى ، قسمت الشيء بينهم قسماً وقسمة .
(3) في العقد : طلبتك ، وهما بمعنى : الطلبة الطلب .
(4) تشير إلى قوله ﷺ : « اللهم وال من والاه وعاد من عاداه » .
(5) بعدها في المصادر : « في ذلك لابي » ، وانظر تاريخ دمشق ٤٤٦ ـ ٤٤٧ (تراجم النساء)ففيه ما يؤكد قول الدارمية .
(6) في البلاغات : « لا تغضبي » ، وفي العقد وصبح الأعشى : « اربعي » .
(7) في البلاغات والعقد : « تروي رضيعها » .
(8) في المصادر : « رزن » .

وقالت : رأيتــه شَثْنَ[1] القدمِ والكف ، لم يَعْبْ بالملك ، ولـم تَشغله[2] النعمــة .

قال : فهل سمعت كلامه ؟

قالت : نعــم .

قال : كيف سمعته[3] ؟

قالت : كان يجلو[4] القلوب من العمى كما يجلو الزيت الطَّسْتَ من الصـدأ .

قال : صدقت . هل لك من حاجة ؟ .

قالت : أوتفعلُ ذلك إذا سألتك ؟

قال : نعــم .

قالت : تعطيني مائة ناقة حمراء ، وألف راعية من رواعي فحولها وغِلمانها .

قال لها معاوية : ما تصنعين بها ؟

قالت : أغذو بألبانها الصغار ، وأُتْحِـف [6] بها الكبار ، وأصلح بها بين العرب .

---

(1) شثنت كفه : أي خشنت وغلظت ، فهو شثن . والشثونة غلظ الكف ، وجشوء المفاصل .
(2) في البلاغات : « تصقله » .
(3) في الأصل : « سمعتيه » .
(4) في الأصل : « يجلوا » .
(5) الراعية : الإبل ، وجمع الراعية رواعي . وارادت هنا ان يعطيها مائة ناقة من نوق نجـد .
(6) في البلاغات : « استحني » ، وفي باقي المصادر : « استحيي » . واتحفه قدم له التحفة ، وهي اللطف والبر .

قال : فإن أعطيتك هل أحل منك [١] محل علي بن أبي طالب ؟

قالت : يا سبحان الله ! أو دونه قليلا ؟

فأنشأ معاوية يقول :

إذا لم أجُدْ بالحِلْم [٢] منّي عليكم
فمن ذا الذي بعدي يُؤمَّلُ للحلْم [٣]
خُذيها هنيئاً ، واذكري فِعلَ ماجِدٍ
حَباكِ [٤] على حينِ [٥] العداوةِ بالسِّلْم

ثم قال لها : والله لو كان علياً [٦] ما أعطاك شيئاً .

قالت : لا والله ، ولا وَبَرةً واحدةً من مال المسلمين يعطيني .

قال : لا والله ، وللمسلمين مثل ذلك .

ثم أمر لها بما سألت ، وردها إلى منزلها مكرمة .

★ ★ ★

---

(١) في العقد : « عندك » .

(٢) في العقد : « أعد بالحلم » ، وورد هذا الشطر من البيت مصحفاً في البلاغات .

(٣) في البلاغات : « بالحلم » .

(٤) في العقد وصبح الأعشى : « جزاك » .

(٥) كذا في الأصل ، وفي المراجع : « حرب » .

(٦) في العقد : « علي حياً » .

٦ ـ حديث أم البَراء بنت صفوان بن هلال*

وبالإسناد الأول عن العباس بن بكار، قال: حدثني سهيل بن ابي سهيل التميمي، عن أبيه، عن جعدة بنت هبيرة، قالت[١]:

استأذنت أم البراء بنت صفوان بن هلال على معاوية، فأذن لها، فدخلت وعليها ثلاثة دروع تسحبها، قد كارت[٢] على رأسها كوراً كهيئة المِنْسف[٣]، فسلّمت وجلست. فقال لها معاوية:

- كيف حالك؟

قالت: ضعفت بعد قوة، وكَسِلتُ بعد نشاط.

قال: شتان بينك اليوم، وحين تقولين:

يا عمرو[٤] دونك صارماً ذا رونقٍ ... عَضْبَ المَهزةِ ليس بالخوّارِ
أسرج جوادك مسرعاً ومشمّراً ... للحربِ غيرَ مولي فرار[٥]
أجب الإمام وذُبَّ تحت لوائه ... وافسر[٦] العَدُوَّ بصارمٍ بتّارِ
يا ليتني أصبحتُ ليس بعَوْرةٍ[٧] ... فأذُبَّ عنه عساكر الفُجّارِ

★ خبرها مع معاوية في بلاغات النساء ١١٠، وتاريخ دمشق ٤٧٨ «تراجم النساء»، وصبح الأعشى ١/٢٦١، وجمهرة خطب العرب ٢/٣٨٤.

(١) في الأصل: «قال».

(٢) في صبح الأعشى: «لاثت»، وكار العمامة كوراً، أدارها على رأسه، وكل دوركور تسمية بالمصدر، والجمع أكوار.

(٣) في الأصل: «المشجب المنسف»، وليست اللفظة الأولى في المصادر، فكأن كلمة «المنسف» تصحفت على الناسخ ثم عاد فكتبها على الصواب ونسي أن يضرب على الأولى. والمنسف: اسم آلة لما ينفض به الحب.

(٤) في تاريخ دمشق وصبح الأعشى: «يا زيد».

(٥) في تاريخ دمشق: «ليس مولياً لفرار»، وفي البلاغات: «معردٍ لفرار»، وفي صبح الأعشى: «.. معود لفرار». وثبتت ياء المنقوص في رواية أصلنا لضرورة الشعر.

(٦) في صبح الأعشى: «والق» وليس هذا البيت في تاريخ دمشق.

(٧) في صبح الأعشى: «لست قعيدة».

قالت : قد كان ذلك يا أمير المؤمنين ، ومثلك من عفا ، والله يقول :

« وأنْ تَعْفوا أقربُ للتقوى [1] » .

قال : هيهات ، أمَا واللهِ لو عاد لعُدتِ ، ولكن اختُرِمَ[2] دونك . فكيف قولكِ حين قتل ؟

قالت : أُنْسيتُه . فقال بعض جلسائه :

هي والله حين قتل تقول يا أمير المؤمنين :

يا للرجالِ لعُظْمِ هولِ[3] مصيبةٍ فدحَتْ فليس مُصابها بالهازلِ[4]

الشمس كاسفةٌ لفقد إمامنا خير الخلائفِ[5] والإمام العادلِ

يا خير من ركب المَطِيَّ ومَن مشى فوق التراب لمُحتفٍ أو ناعلِ[6]

حاشا النبي، لقد هَدَدْتَ قُواءنا[7] فالحقُّ أصبح خاضعاً للباطلِ

---

(١) سورة البقرة من الآية ٢٢٧ . والذي في المصادر : « عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه » .

(٢) اخترم : « هلك » ، وفي تاريخ دمشق : « اخترم قبلك » ، وفي صبح الأعشى « اخترم منك » .

(٣) في الأصل : « لهول عظم » وأثبت رواية البلاغات وصبح الأعشى ، وفي تاريخ دمشق : « لعظم أمر » .

(٤) في تاريخ دمشق : « جلت فليس مصابها بالزائل » ، وفي صبح الأعشى : « بالحائل » .

(٥) في البلاغات وصبح الأعشى : « خير الخلائق » ، وفي تاريخ دمشق : « أميرنا .. خير البرية » .

(٦) سقط البيت من صبح الأعشى .

(٧) في تاريخ دمشق : « هدمت قواءنا » ، وجمع القوة قُوى مقصور وإنما مد للضرورة .

فقال معاوية : قاتلكِ الله يا بنت صفوان ! ما كان حسان بن ثابت يحسن مثل هذا ، وما تركتِ لقائلٍ مقالاً . اذكري حاجتكِ .

قالت : بعد هذا والله لا أسالك شيئاً ، ثم نهضت ، فعثَرتْ ، فقالت : تعِسَ شانىء[1] عليٍّ .

فقال معاوية : يا بنت صفوان ، زعمتِ أنْ لا تسألي شيئاً[2] !

قالت : هو والله ما علمت .

فلما كان من الغدِ بعث إليها بكسوةٍ فاخرة حسنة ، وقال :

إذا أنا ضيعت الحِلم فمن يحفظه ؟

★ ★ ★

---

(١) الشانىء : « المبغض » .

(٢) في المصادر : « زعمت ألا » ، بسقوط العبارة الأخيرة .

٧ ــ حديث أروى بنت الحارث بن عبد المطلب*

وبالإسناد الأول عن العباس بن بكار ، قال : حدثنا عبد الله بن سليمان المديني(١) ، عن قتادة قال :

دخلت أروى بنت الحارث بن عبد المطلب على معاوية وهي عجوز كبيرة ، فلما رآها ، قال :

مرحباً بك يا خالة(٢) ، كيف كنت بعدي ؟

قالت : بخير ، كيف حالك ، وكيف أنت يا بن أخي ؟ لقد كفرت النّعمة ، وأسأت لابن عمك الصحبة ، وتسميت بغير اسمك ، وأخذت غير حقك ، لا نبلاءٌ منك ، ولا من أبيك في دنيا ، ولا سابقة كانت لكم في الإسلام ؛ لكن كفرتم بما جاء به محمد ﷺ ، فأتعس الله منكم الجدود(٣) ، [وأضرع منكم الخدود(٤)] ورد الحق إلى أهله ، وكانت كلمتنا العليا ، ونبينا المنصور ، ﷺ ، ولو كره المشركون ، على من ناوأه(٥) فوثبتم علينا من بعده ، واحتججتم على سائر العرب بقرابتكم من رسول الله ، ﷺ ، ونحن أقرب إليه

★ خبرها مع معاوية من طريق العباس بن بكار في : العقد الفريد ١/٣٤١ ، وهو من طريق آخر في بلاغات النساء ٤٣ ، ومن هذين المصدرين في جمهرة خطب العرب ٢/٣٨١ · وهناك خلافات في الرواية نبهت على بعضها في الحواشي · ولأروى بنت الحارث ذكر في نسب قريش لمصعب ٨٥ ، وجمهرة أنساب العرب ١٦٤ ·

(١) في العقد « المدني » ، تقدم التعقيب على ذلك في (ص ٣٣ هـ ١) ·

(٢) في البلاغات : « يا عمة » ·

(٣) جمع جد وهو الحظ ·

(٤) زيادة من العقد · وأضرع : أي أذل ·

(٥) في الأصل : « ما » ، وما أثبته من البلاغات · ناوأه : « عاداه » ·

من حبل الوريد ، وأحق بهذا الأمر منكم ، فكنا فيكم بمنزلة بني إسرائيل في آل فرعون ، وكـان سيدنا منكم بعد نبينا ، ﷺ ، بمنزلـة هارون من موسى[١] ، وغايتنا الجنة ، وغايتكم النار .

فقال عمرو بن العاص : كفى أيتها العجوز ، وغضي طرفك ، وأقصري من شر لفظك ، فإنه أمير المؤمنين ! .

قالت له : إيه عنك يا بن النَّغيرة[٢] ، فوالله لعهدي بأمك بأبيات مكة ، وهي باكية من الخطيئة ، من كل عبدٍ لنا عاهر ؛ ولقد احتكم فيك خمسة من قريش كلهم يدعيك ابنه ، وغلب عليك جزار قريش .

فقال لها سعيد بن العاص[٣] : أيتها العجوز الضالة أقصري من قولك مع ذهاب عقلك ، إنه لا تجوز شهادتك وحدك !

---

(١) رواية بلاغات النساء : « فصرنا ـ أهل البيت ـ منكم بمنزلة قوم موسى من آل فرعون يذبحون أبناءهم ، ويستحيون نساءهم ، وصار ابن عم سيد المرسلين فيكم بعد نبينا بمنزلة هارون من موسى حيث يقول : « يا ابن أم إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني » ، ولم يجمع بعد رسول الله ﷺ لنا شمل ، ولم يسهل لنا وعر » .

(٢) اللفظة في الأصل من غير إعجام . ورجل نَغِر وامرأة نغِرة . وهي الغيرى الغاضبة ، فكأن جوفها يغلي من الغيظ .
أم عمرو بن العاص سبية من عنزة اسمها النابغة كان يعير بها . راجع نسب قريش ٤٠٩ ، وجمهرة أنساب العرب ١٦٣ ، وقد اختلفت رواية هذا الخبر في المصادر وفيها كلها تبدو آثار الوضع والتلفيق ، واتجاه الراوي المغرض الذي كان يتسقط المعائب ليسيء إلى نفر من وجهاء قريش وفصحائهـا ، وأصحاب الفضل فيها .

(٣) هو سعيد بن العاص بن سعيد بن العاص بن أمية . من أشراف قريش . كان جواداً ممدحاً فصيحاً ، حاضر البديهة ، وأخباره في ذلك كثيرة معروفة. استعمله عثمان على الكوفة ، وغزا بالناس طبرستان . واستعمله معاوية على المدينة. وأمه كلثوم بنت عمرو بن عبد الله من بني عامر بن لؤي . انظر نسب قريش ١٧٦ ، وجمهرة أنساب العرب ٨١ .

قالت : وأنت يا بن الباغية تتكلم ، وأمك أشهر بغياً ، فإن أباك قد راودها فادعـاك .

فقال لها مروان بن الحكم : كفى أيتها المرأة ، واقصدي لما جئت له .

قالت له : وأنت يا بن الزرقاء[1] تتكلم ؟ ووالله لأنت أشبه ببشر مولى الحارث بن كَلَدَة منك بالحكم بن أبي العاص ، ولقد رأيت الحكم سَبِط الشعر ، مديد القامة ، فإن بينكما من القرابة إلاّ كقرابة الفرس الضامر من الأتان المُقْرِب[2] ، فسل عما أخبرتك به أمك فإنها تعلمك ذلك . ثم التفتت إلى معاوية وقالت :

ما عرضني ، وما جرأ علي هؤلاء أحدٌ غيرُك يا بنَ القائلة في قتل حمزة :

نحنُ جزيناكـم بيوم بَدْرِ والحربُ بعدَ الحربِ ذاتُ سُعْرِ[3]
ما كان لي عن عُتْبَةٍ من صبر[4] ولا أخـي وعمّـي وبكـري[5]
سكّن وَحْشِيٌّ غَلِيلَ صدري سلّيت همّي وشفيتَ صدري[6]
فشُكْرُ وَحْشِيٍّ عليّ دَهْرِي حتّى تَوارى[7] أعْظُمي في قبري

(1) هي آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية ، من بني مالك بن كنانة ، والزرقاء لقبها . كان يعير بها بنو مروان ، انظر نسب قريش ١٥٩ ، وجمهرة أنساب العرب ٨٧ .

(2) أقربت الأتان فهي مقرب ، دنا ولادُها .

(3) السَّعر ـ بالفتح ـ مصدر سعر الحرب : أي أوقدها ، وبالضم : الجنون .

(4) رواية البلاغات : « ما كان عن عتبة لي من صبر » .

(5) كذا ، والصحيح رواية البلاغات : « أبي وعمي وأخي وصهري » . أبوها عتبة بن ربيعة ، وعمها شيبة بن ربيعة ، وأخوها الوليد بن عتبة ، وصهرها حنظلة بن أبي سفيان أمه صفية بنت أبي العاص بن أمية . انظر سيرة ابن هشام ٢/٢٧٧ ، ونسب قريش لمصعب ١٢٣ ، وجمهرة أنساب العرب ١١١ .

(6) رواية البيت في البلاغات :
شفيت وحشي غليل صدري شفيت نفسي وقضيت نذري
وحشي غلام جبير بن مطعم قاتل حمزة يوم أحد . انظر السيرة ٣/٧٤ .

(7) في البلاغات : « حتى تغيب » ، وفي العقد : « حتى ترمّ » .

فأجابتها ابنة عمي وهي تقول :

جُزِيت[1] في بدرٍ وغير بدر ... يا ابنة وقّاعٍ[2] عظيم الكفرِ
صبّحكِ الله غداةَ النحرِ[3] ... بالهاشميّين الطِّوالِ الزُّهْرِ
بكلّ قطّاعٍ حُسامٍ يَفْري ... حمزةُ ليثي ، وعليٌّ صقري
أعطيت وحشياً ضميرَ الصدْرِ ... هتك وحشيٌّ حجابَ السترِ

ما للبغايا بعدها من فخر

فالتفت معاوية إلى عمرو ومروان فقال : ما جلبَ علي هذا أحدٌ غيركما ، ولا أسمعني هذا الكلام إلاّ أنتما ! لا حُيّيتما . ثم قال : يا خالة اقصدي ، أنا الفداء لك ، لحاجتك[4] ، ودعي الأساطير عنك .

قالت : تعطيني ألفي دينار ، وألفي دينار ، وألفي دينار .

قال لها : ما تصنعين بألفي دينار ؟

قالت : أشتري بها عيناً خرّارة[5] ، في أرض خوّارة[6] تكون لفقراء بني الحارث بن عبد المطلب .

قال : هي لك . قال : وما تصنعين بألفي دينار ؟

قالت : أزوج بها فقراءَ بني الحارثِ بن عبد المطلب .

قال : هي لك . قال : وما تصنعين بألفي دينارٍ أخرى ؟

---

(١) في البلاغات والعقد : « خزيت » ، وموضع هذا الشطر الثاني في رواية البلاغات

(٢) رجل وقاع ووقاعة : أي يغتاب الناس . ورواية البلاغات : « رقاع » ، ورواية العقد : « جبار » .

(٣) في البلاغات :« قبيل الفجر » .

(٤) في البلاغات : « اقصدي قصد حاجتك » ، والقصد إتيان الشيء . تقول : قصدته وقصدت له .

(٥) الخرارة : عين الماء الجارية ، سميت خرارة لخرير مائها وهو صوته . وفي البلاغات : « خرخارة » .

(٦) أرض خوارة : لينة سهلة تصلح للزراعة .

قالت : أستعين بها على شدة الزمان ، وزيارة بيت الله الحرام .

قال : قد أمرت لك بها يا خالة . ثم قال : أما والله لو كان علي حياً ما أمر لك بهذا !

قالت : أتذكر علياً فَضَّ[1] الله فاك ، وأجهد بلاءك !! ثم علا نحيبها وبكاؤها ، وأنشأت تقول :

ألا يا عينُ وَيْحَكِ أسعدينا ... ألا إبكي[2] أميرَ المؤمنينا
رُزِينا خيرَ مَنْ رَكِبَ المطايا ... وحَبَّسها[3] ، ومن ركبَ السفينا
ومن لبس النِّعال ، ومَنْ حذاها ... ومن قرأ المَثاني المِئينا[4]
ألا أبلغ معاوية بن حربٍ ... فلا قرّت عيون الشامتينا
أفي شهر الصيام فجعتموه[5] ... بخير الناسِ طرّاً أجمعينا
ومَنْ بعد النبي ، فدته نفسي ، ... أبو حسن وخيرُ الصالحينا
كأنّ الناس إذ فقدوا علياً ... نعامٌ جال في بلدٍ سَنِينا[6]
لقد علمت قريش حيث كانت ... بأنك خيرُها حسباً ودينا
إذا استقبلتَ وجه أبي حسينٍ ... رأيتَ البدرَ راق[7] الناظرينا
فلا والله لا أنسى علياً ... وحسنَ صلاته في الراكعينا

فبكى معاوية ، وقال : كان والله يا خالة كما قلت وأفضلَ . وأمر لها بالذي سألت .

ثم قامت فانصرفت .

---

(١) يعني كسر الله أسنان فيك . يقال : فضه إذا كسره . والفم هنا الأسنان .
(٢) قطعت الهمزة في هذه اللفظة من أجل الشعر ، وفي البلاغات : « وابكي » .
(٣) في البلاغات : « وفارسها » ، وحبّس الفرس في سبيل الله وأحبسه فهو محبّس وحبيس ، والأنثى حبيسة ، والجمع حبائس . وفي الحديث : « ذلك حبيس في سبيل الله » أي موقوف على الغزاة يركبونه في الجهاد .
(٤) رويت أقوال كثيرة عن الرسول ﷺ وأصحابه في معنى المثاني والمئين والمفصل ، منها : أن المثاني سور أولها البقرة وآخرها براءة ، وقيل ما كان دون المئين .
(٥) في البلاغات : « فجعتمونا » .
(٦) عنت بذلك تزاحم الناس واضطرابهم وهياجهم . يقال : جاء من الإبل والخيل سنن ما يرد وجهه . والسنين الذي يلجّ في عدوه وإقباله وإدباره .
(٧) في البلاغات : « راع » .

٨ ـ حديث آمنة بنت الشريد امرأة عمرو بن الحمق الخزاعي*

وبإسناده ، عن العباس بن بكار الضبي ، حدثنا ابو بكر الهذلي عن الزهري ، وسهيل بن ابي سهيل(١) التميمي ، عن ابيه ، قال :

لمّا قُتِل عليٌّ بن أبي طالب عليه السلام بعث معاوية في طلب شيعته ، وكان ممّن طلب عمرو(٢) بن الحَمِق الخزاعيّ ، فراغ منه ، فأرسل إلى امرأته آمنة بنت الشّريد فحبسها في سجن دمشق سنتين ، ثم إن عبد الرحمن ابن أمّ الحكم ظفر بعمرو بن الحَمِق في بعض الجزيرة (٣) فقتله ، وبعث برأسه إلى معاوية ، وهو أول رأس حُمِل في الإسلام . فلما أتى معاويةَ الرسولُ بالرأس بعث به إلى امرأته آمنة بنت الشّريد ، وقال : للحَرَسي(٤) احفظْ ما تتكلّم به حتى تؤديه إليّ ، واطرح الرأس في حجرها .

فلما أتاها الرسول بالرأس ، وطرحه في حجرها ، ارتاعت له ساعةً ، ثم وضعت يدها على رأسها ، ثم قالت :

★ خبرها مع معاوية من طريق العباس بن بكار في بلاغات النساء ٨٧ ، وهو برواية ثانية في الديارات ١٧٩ ، وتاريخ دمشق ٤٣ « تراجم النساء » .

(١) في البلاغات : « سهل بن أبي سهل » . تقدم في أكثر من موضع « سهيل بن أبي سهيل » .

(٢) في البلاغات : « عمر » ، وهو عمرو بن الحَمِق بن كاهل الخزاعي . صحابي . كان أحد الرؤوس الذين اشتركوا في قتل عثمان ، وشهد مع علي حروبه ، وكان على خزاعة يوم صفين ، قتل سنة ٥١ . الطبري ٥/٢٥٨ ـ ٢٦٥ ، والإصابة ٢/٥٣٢ (ت ٥٨١٨) .

(٣) في الأصل « الجزائر » ، والصحيح ما أثبته من البلاغات . انظر الطبري ٥/٢٦٥

(٤) الحرسي ـ بفتح الراء ـ واحد الحراس والحَرَس وهم خدم السلطان المرتبون لحفظه .

واحزنَاه لصغره ، في دار هوان ، وضيق مجلس سلطان ، تفيتموه عني طويلاً ، ثم أهديتموه إليّ قتيلاً ! فأهلاً وسهلاً بمن كنت له غير قالية ، وأنا اليوم له غيرُ ناسيةٍ . ارجع أيها الرسول إلى معاوية ، وقل له ، ولا تَطْوِه[1] أيْتَمَ اللهُ وِلدَكَ ، وأوحشَ مِنْكَ أهلَك ، ولا غفرَ لكَ ذنبَك .

فرجَع الرّسولُ إلى معاوية ، فأخبره بما قالت . فأرسل إليها ، فأتته ، وعنده نفر فيهم إياس بن حِسْل أخو مالك بن حِسْل[2] ، وكان في شِدْقه[3] نُتوء عن فيه لِعِظَم كان في لسانه وثِقَل[4] .

فقال : أنت يا عدوةَ الله صاحبةُ الكلامِ الذي بلغني ؟

قالت : نعم ، غير نازعةٍ عنه ، ولا مُعْتَذِرةٍ منه ، ولا مُنْكِرةٍ له ، فلَعَمْري إنّي قد اجتهدت في الدّعاء غايةَ الاجتهاد ، وإن الله من وراء العباد ، فما بلغت شيئاً من رائك[5] ، والله بالنّقمةِ من ورائك .

فأعرضَ عنها معاويةُ . فقال إياس : اقتلها يا أمير المؤمنين ، فوالله ما كان زوجها بأحقَّ بالقتل منها !

فالتفتت إليه ، فلما رأتهُ ناتِىء الشّدْقين ، ثقيلَ اللسان ، قالت : تبّاً لك ويلك : بين لَحْيَيْكَ كجُثمان الضفادع[6] ، ثم أنت تدعوه إلى قتلي

---

(١) أي لا تكتم ما أقول لك واخبر به معاوية . يقال : اطو هذا الحديث : أي اكتمه .

(٢) أراد أنه من بني مالك بن حِسل بن عامر بن لؤي بن غالب بن فهر . مالك بن حسل جد جاهلي . انظر جمهرة أنساب العرب ١٦٦ . وفي تاريخ دمشق : « إياس بن شرحبيل » .

(٣) كذا في الأصل وتاريخ دمشق . وفي البلاغات والديارات : « شدقيه » .

(٤) بعدها في البلاغات : « إذا تكلم » .

(٥) في البلاغات : « جزائك » .
تقول العرب : أرى الله بفلان أي أرى به ما يشمت به عدوه .

(٦) في البلاغات : « لحيتيك كجثمان الضفادع » . واللحيان حائطا الفم ، وهما العظمان اللذان فيهما الأسنان .

كما قتل زوجي بالأمس ؟ « إنْ تُريدُ إلا أنْ تكون جَبّاراً في الأرض ، وما تُريدُ أنْ تكونَ مِنَ المُصْلِحِين »[1] !

فضحك معاوية وقال لها : لله درّك ، أُخرجي ، ثم لا أسمع بك في شيء من الشام .

قالت : لأخرجن من الشام[2] ، فما في الشام لي من حبيب ، ولا أعرّج فيها على حميم . وما هي لي بوطنٍ ، ولا أحنُّ فيها إلى شجن[3] ، ولقد عظم فيها ديني[4] ، وما قرت بها عيني ، وما أنا إليك فيها بعائدة ، ولا حيث كنت لك بحامدة .

فأشار إليها ببنانه : اخرجي ! فخرجت وقالت : يا عجبي لمعاوية ، يكف عني لسانه ، ويشير إليّ بالخُروجِ ببنَانِه[5] ، والله لأُعرِّقَنّ حضني[6] قاتل عمرو بكلامٍ مؤيّدٍ شَديد[7] ، أوجع له من نوافذ الحديد ، ألست بابنة الشريد ؟!

فخرجت . وتلقاها الأسْود الهلالي ، وكان رجلاً أصلع أسْود[8] ــ وفي رواية : ابن شبة ، الأسلع بن حطان الهلالي ــ فسمعها وهي تقول ما تقول ، فقال : لمن تعنين بهذا ؟ لأمير المؤمنين ، عليك لعنة الله ! فالتفتت إليه ، فلما رأته قالت له : خزيةً لك وجَدْعاً ، تلعنني واللعنة بين جنبيك ، ومن

---

(١) سورة القصص ٢٨ آية ١٩ .
(٢) رواية البلاغات : « وأبي لأخرجن ، ثم لا تسمع بي في شيء من الشام » .
(٣) في البلاغات : « سكن » .
(٤) في الأصل : « دائي » ، تصحيف ، صوابه ما أثبته من البلاغات . أنظر قول معاوية في الصفحة التالية .
(٥) في التاريخ : « يبسط علي غرب لسانه ، ويشير إلى ببنانه » .
(٦) حضنا الرجل : جنباه .
(٧) في البلاغات : « سديد » .
(٨) في البلاغات : « وكان رجلا أسود أصلع أسلع أصعل » .

قرنيك إلى قدميك ؟ اخسأ يا هامة الصّعَل [1] ، ووجه الجُعل[2] ، وأذْلِلْ بك نَصيرا ، وأقْلِل بكَ ظَهيرا .

فبهت الأسلعُ ينظرُ إليها ، ثم سأل عنها ، فأخبر بخبرها ، فأقبل إليها معتذراً خوفاً من لسانها .

قالت: قد قبلت عذرك ، وإن تعد أعد ، ثم لم أُقِلْكَ ، ولم أراقبْك![3] فبلغ ذلك معاوية ، فقال : كلا ، زعمت يا أسلع أنك لا تواقف[4] من يغلبُك ، أما علمت أن حرارة الشوك[5] ليست بمجانسة لنوافذ الكلام عند مواقف الخصومة ، ألا تركتَ كلامَها قبلَ النَّصفةِ منها ، ومنك الاعتذار إليها ؟ قال : إي والله يا أمير المؤمنين ، لم أكن أرى امرأةً تبلغُ من معاضيل[6] الكلام ما بلغت هذه المرأة ، وقد جالستها فإذا هي تحمل قلباً شديداً ، ولساناً حديداً ، وجواباً عَتيداً . فهالتني رُعْباً ، وأوسعتني سبّاً . ثم التفت معاوية إلى عبيد بن أوس فقال : ابعث إليها بما يقطع عني لسانها ، وتقضي ما ذكرت من دينها ، وتخفّ به إلى بلادها . وقال : اللهم اكفني شرّها وشرّ لسانها . فلما أتاها الرسول بما أمر لها معاوية قالت : واعجبا من معاوية ! يقتل زوجي ، ويبعث لي بالجوائز ، فليت حظّي مِنْ أبي كَرِب سدّ عني خيرَه وبِرَّه[7]

(١) الصعل والأصعل : الدقيق الراس والعنق ، وقد صعل صعَلا واصعال .
(٢) الجُعل : حيوان معروف كالخنفساء . ورجل جعل : أسود ذميم .
(٣) في البلاغات : « لا أستقيل ، ولا أراقب فيك » ، وفي الروايتين تعني أنها لن تسامحه وتتساهل معه في المرة الثانية .
(٤) واقفته على كذا مواقفة ووقافاً أي سألته الوقوف .
(٥) في البلاغات : « حرارة المتبول » .
(٦) المعضلة : المسألة الصعبة ، أو الخطة الضيقة المخارج .
(٧) كذا في الأصل . والرواية المعروفة : خيره خَبَله . وأصل المثل أن أبا كرب اليماني قدم المدينة ، فقال مالك بن عجلان ، وهو الذي ساقه إليها : قد جئتكم بعز الأبد ، فسمعت عجوز بقوله فقالت :
يا ليت حظي من أبي كرب ... أن سد عني خيره خبله
يضرب لمن لا يفي خيره بشره .
المستقصي ٢/٣٠٢ (١٠٦٨) ، وجمهرة الأمثال ١/٤٨٤ .

خـذ من الرَّضْفة ما عليها[١] . فأخذت ذلك وخرجت تريدُ الجزيرة[٢] ، فمرت بحمص ، فلقيها هناك الطاعون ، فماتت . فبلغ ذلك الأسلع ، فأقبل إلى معاوية كالمستبشر[٣]، فقال : أفْرِخْ[٤] روعَك يا أمير المؤمنين ، قد استجيبت دعوتك في ابنة الشريد ، وقد كفيت شر لسانها .

قال : وكيف ذاك ؟

قال : إنها مرت بحمص فلقيها الطاعون

فقال معاوية : فنفسك بشر بما أحببت ، فإن موتها لم يكن بأروح لي منه عليك ، ولعَمْري لقد انتصفت منك حين أفرغت عليك شؤبوباً وبيلاً .

فقال الأسلع : ما أصابني من حرارة كلامها شيء إلا وقد أصابك مثلـه وأشدُّ منـه !

★ ★ ★

(١) الرضفة : حجارة محماة تلقى في اللبن فيلزق بها شيء منه ، فيقال : خـذ ما عليها ، فإنك إن تركته بطل . ومعناه : خذ من البخيل القليل ، ومن المضياع فإنك إن تركته أفسده المضياع ، ومنعه البخيل فذهب الانتفاع به .
انظـر جمهـرة الأمثال ٤٢٢/١ ، والميداني ١٥٦/١ ، المستقصى ٢٦٠ ، واللسان : « رضف » .

(٢) في تاريخ دمشق : « الكوفة » .

(٣) في الأصل : « المستبشر » ، تصحيف .

(٤) في الأصل : « أفرج » ، تصحيف . أفرخ روعك ، اي خلا قلبك من الهم خلو البيضة من الفرخ .

٩ ـ حديث فارغة بنت عبد الرحمن الحارثية*

وبإسناده عن العباس بن بكار، عن ابيه، عن هشام بن سليمان المخزومي، قال :

خرج معاوية من المدينة ، فقال لصاحب إبله : انظر إلى ذلك اليمين ، فارحل[١] جملي الصّحوب[٢]، وارحل لنفسك جملاً ، ثم اتني ولا تعلم أحداً .

قال : ففعلت ، وركب ، واتبعته ، فجعل يمر بمحالٍ من محال العرب ؛ حتى مر بمحلّةٍ ما هي بأكثر من تلك المحالّ أهلاً ، فلما جاوزها قامت امرأة جميلة حسنة البِزّة[٣] فقالت : أميرُ المؤمنين والله ! ثم قالت : اللهم أمتع العرب به فعطف عليها راجعاً ، فقال : أوتحبين العرب ؟ قالت : إي والله كل أسود الرأس منهم وأبيضه .

قال : ممن أنت ؟

قالت أنا من القوم الذين يقول فيهم شاعرهم :

هم جمعوا حِلْف الأحابيش كلهم[٤] وهم منعوا منا غزاة[٥] بني بكر

قال : أنت من بني الحارث !

قالت : أنا منهم .

قال : ما رأيك في قريش ؟

★ الخبر بلفظ آخر في بلاغات النساء ١٧٦ ، ولم يسم المرأة .

(١) رحل البعير يرحله رحلا فهو مرحول شد عليه أداته .

(٢) اراد جمله السلس القياد . أصحب البعير والدابة انقادا .

(٣) البِزة : بكسر الباء ـ الهيئة .

(٤) في البلاغات : « .. دفعوا .. حلف الأحابيش عنوة » .

(٥) في البلاغات : « عنكم غواة » .

قالت : إني أحب صغيرها وكبيرها ، وأرعى حلفها .

قال : فما رأيك في إخوتك من بني بكر ؟

قالت : والله إني لأُبْغِضُ صغيرها وكبيرها ، وأذكر سوء عهدها .

قال : أما الآن فأقصري عنهم ، فقد جاء غير ذلك. قال : هل عندك عشاء .

قالت : نعم .

قال : هات ، وما هو ؟

قالت : عندي خبز خمير وحَيْس فطير[1] ، ولبن جَهير[2] ، وتمر كثير ، وماء نَمير .

قال : والله إنك لذاتُ عشاءٍ !

قال : فنزل اعد وصامت[3] وقدمت إليه ذلك ، فجعلت تبرد [له] ويأكل ، وتبرد له ويأكل وتحدثه . وجاءته بالحيس ، وسقته ماء . فلما فرغ قال :

ويلك ! ما علمت أن في العرب مثلك ، احكمي بيني وبين فاختة بنت قرظة .

قالت : يا أمير المؤمنين ، وكم أتت لك ؟ قال : ابن خمس وسبعين[4] . قالت : وكم أتت لها ؟ قال : هي بنت أربعين . قالت : فقد والله أنست الكبر فذهلت وأخذت ريح الكبر فذلت . فكيف الذي عندك للنساء . قال : إنه لصالح . قالت : هي والله تبصر في معانيك فتعجبها منها .

ثم قال : ما تقولين في علي بن أبي طالب ، عليه السلام ؟ قالت : وما

---

(١) الحيس : تمر ينزع نواه ويدق مع أقط ويعجنان بالسمن ثم يدلك باليد حتى يبقى كالثريد ، وهو مصدر في الأصل، يقال : حاس الرجل حيساً إذا اتخذ ذلك .

(٢) لبن جهير : لم يمزق بماء . وفي البلاغات : « يمير » ، ولعل الصواب : «ثمير» لبن ثمير لم يخرج زبده .

(٣) كذا رسمت اللفظتان في الأصل ، ولم تتهيأ لي معرفتهما .

(٤) في البلاغات : « أتى عليك ؟ قال : ثلاث وستون سنة » .

عسيت أن أقول فيه وقد سبق له من الفضل مالا ينكره أحد ، وزوّجه رسول الله ﷺ سيدة نساء أهل الجنة ، واختصه بسره ، وهو كاشف للكرب عن وجهه ، فرحمة الله عليه ، هذا ما أقول .

قال : فتعجب معاوية من كلامها ، ثم قال لها : ما حاجتك ؟

فما سألت شيئاً إلاّ أعطاها ، ولا حاجة إلاّ قضاها .

فجعلت أكتب بالفحم على العظام ، واسم المرأة فارغة .

★ ★ ★

١٠ ــ حديث المرأة من بني ذكوان*

وبإسناده عن العباس بن بكار ، قال : حدثنا عبد الله بن بكار ، عن هشام بن محمد الكلبي ، عن عوانة بن الحكم ، عن رجل من بني امية ، قال :

حضرتُ معاوية في منزلٍ[١] وقد أذِنَ للناس إذناً عاماً ، فدخلوا عليه لظالمهم وحوائجهم . فدخلت عليه امرأة كأنها فِلْقةُ[٢] قمر ، ومعها جاريتان لها ، فحدرَتِ اللثام عن خدها كأنما لونه أشربَ ماء الدرّ في حمرةِ التفاحِ ، وقالت :

الحمد لله يا معاوية الذي خلق الإنسان ، وجعل له اللسان ، الذي جعل فيه البيان ، فدلّ به على النِّعم ، وأجرى به القلم ، فيما أبرم وحتم[٣] ، وبرأ وذرأ[٤] ، وذكّر وقضى ، وصرّف الكلام باللغات المختلفة ، على المعاني المتفرقة ، ألفها بالتقديم والتأخير ، والإشباه ، والتعارف والتناكر[٥] والموافقة والتزايد ، فأدته الآذان إلى القلوب بالأفهام ، وأدته القلوب إلى الألسن بالبيان ، واستدلت به على العلوم ، وعبد به الرب ، وأبرم به الأمر ، وعرفت به الأقدار[٦] وتمت به النعم .

★ خبرها مع معاوية في تاريخ دمشق ٥٧٠ (تراجم النساء) ، وبلاغات النساء ٩٠ بخلاف في الرواية .

(١) تاريخ دمشق : « منزله » .

(٢) تاريخ دمشق والبلاغات : « قلعة » . والفِلقة : القطعة من الشيء أو نصفه .

(٣) حتَم الله الأمر : أوجبه .

(٤) بلاغات : « درا » ، وذرأ الله الخلق وبرأهم : خلقهم .

(٥) في البلاغات : « الأشباه والمناكر » .

(٦) في الأصل : « الأقدام » ، وما أثبته من تاريخ دمشق والبلاغات .

وكان من قضاء الله وقدره أن قربت زياداً من آل أبي سفيان سيداً[1] ، ثم ولّيته أحكام العباد ، يسفك الدماء بغير حقها ، ولا حلها ، ويهتك الحريم بلا مراقبة لله ، خؤون غشوم ، كافر ظلوم، يتخير من المعاصي أعظمها وأدهاها . لا يرى لله وقاراً ، ولا يظن أن لـه برسول الله ﷺ أسوة . وبينك وبينـه صهر[2] . فلا الماضين من أئمـة الهدى اتبعت ، ولا طريقهم سلكت . جعلت عبد ثقيف[3] على رقاب أمـة محمد ، ﷺ ، يـدبّر أمورهم ، ويسفـك دماءهم ؛ فماذا تقول لربك يا معاوية وقـد مضى من أجلك أكثره ، وذهب خيره ، وبقي وزره .

إني امرأة من بني ذكوان ، وثب زيـاد المُدعَى إلى أبي[4] سفيان على ضيعتي ، وتركتي من أبي[5] فغصبنيها ، وحال بيني وبينها ، وقتل من نازعه فيها من رجالي . وأتيتك مستصرخةً ، فإن أنصفت وعدلت وإلا وكلتك وزياداً إلى الله جل ذكره، فلن تبطل[6] ظلامتي عندك وعنده، ولئن بطلت ظلامتي عندك وعنده فالمنصف منكما حكم عدل .

قال : فبهت معاوية ينظر إليها متعجباً من كلامها ، ثم قال :

---

(1) في البلاغات : « وجعلت له بين آل أبي سفيان نسباً » ، وفي تاريخ دمشق : « من أبي سفيان .. » .

(2) في تاريخ دمشق والبلاغات : « ولا يظن له معاداً ، وغداً يعرض عمله في صحيفتك ، وتوقف على ما اجترم بين يدي ربك ، ولك برسول الله أسوة .. »

(3) تعني زياداً . أم زياد جارية الحارث بن كلدة الثقفي ، وفي تاريخ دمشق « حملت » .

(4) في تاريخ دمشق : « الدعي إلى أبي » ، المدعى : المتهم في نسبه ، وهو الدعي وادعاه : صيره يدعى إلى غير أبيه .

(5) في تاريخ دمشق : « عن أبي وأمي » ، وفي البلاغات : « ورثتها عن أبي وأمي» .

(6) في تاريخ دمشق : « يبطل ظلامتي عندك وعنده ، والمنتصف بيننا وبينكم » . وفي البلاغات : « فإن تبطل ظلامتي عندك ولا عنده ، والمنصف لي منكمـا حكم عدل » .

ما لزيادٍ ، لعن الله زياداً ، فإنــه لا يزال يبعث على مثالبه من ينشرها ، ولمساوئه من ينثرها[١] .

قال : ثم أمر كاتبه بالكتابة إلى زياد يأمره بالخروج [٢] من حقها ، والرد عليها وإلا صرفه مذموماً مدحوراً .

ثم أمر لها بعشرين ألف درهم ــ وفي رواية أخرى بعشرة آلاف درهم ــ وعجب معاوية وجميع من حضر من مقالتها ، وبلوغها حاجتها .

★ ★ ★

(١) في تاريخ دمشق والبلاغات : « وعلى مساوئه من يثيرها » .

(٢) في البلاغات : « بالخروج إليها » .

١١ ـ حديث الزرقاء بنت عدي الهمدانية*

وبإسناده عن العباس بن بكار الضبي ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله الخزاعي وعبيد الله بن عمر(١) ، والغساني ، عن الشعبي ٠

قال العباس : وحدثني ابو بكر الهذلي ، عن الزهري ، قال :

حدثني جماعة من بني أمية ممن كان يسمر مع معاوية بن أبي سفيان قال :

كنا نبيت مع معاوية بن أبي سفيان ذات ليلةٍ نسمر مع عمرو بن العاص ، ومروان بن الحكم ، وسعيد بن العاص ، وعتبة بن الوليد إذ ذكروا الزرقاء بنت عدي بن قيس الهمدانية ـ وهي امرأة من أهل الكوفة شهدت مع قومها صفين ، وكان لها لسان وعقل ـ فقال : أيكم يحفظ كلامها يوم صفين ؟ قال القومُ كلهم : نحن نحفظه يا أمير المؤمنين ٠ قال : ما تشيرون علي في أمرها ؟ قال بعضهم : نشير عليك بقتلها ٠ قال : بئس الرأي أشرتم(٢) ، أيحسن بمثلي أن يتحدث عنه أنه قتل امرأة بعد أن ظفر ؟!

فكتب إلى عامله بالكوفة أن أوفد إليّ الزرقاء بنت عديّ مع ثقةٍ من محرمها ، وعدة من فرسان قومها ، ومهّد لها وِطاءً(٣) ليناً ، واسترها بسترٍ حصيف(٤) ، وأوسع عليها في النفقة ٠

---

* خبر الزرقاء مع معاوية من طريق العباس بن بكار في بلاغات النساء ٥٠ ، والعقد الفريد ١/٣٢٩ ٠ وهو من طريق آخر في تاريخ دمشق ١٠٩ « تراجم النساء » ، وصبح الأعشى ١/٢٥٢ ، وجمهرة خطب العرب ٣٧٣ ، وعصر المأمون ٢/١٧ ٠

(١) كذا في هذا الموضع ٠ تقدم في ص ٢٧ : « عبد الله بن عمر » ، وفي العقد : « عبيد الله بن عمرو » ، وانظر ص ٢٧ هـ ١ ٠

(٢) في تاريخ دمشق : « بئس الذي أشرتم به » ٠

(٣) الوطاء : « الفراش » ٠

(٤) في تاريخ دمشق : « خصيف » ، وكل محكم لا خلل فيه فهو خصيف ، وثوب حصيف إذا كان محكم النسج صفيقه ٠

فأرسل إليها ، فأقرأها الكتاب ، فقالت : أما أنا فغير زائغة عن طاعة ؛ فإن كان أمير المؤمنين جعل الاختيار لي لم أرِمْ من [1] بلدي هذا ، وإن كان حَتَمَ[2] الأمر فالطاعة له .

فحملها في هَوْدج جُعِل متناه خَزّاً مبطناً بعَصْب[3] اليمن ، ثم أحسن صحبتها .

فلما قدمت على معاوية قال لها :

مرحباً وأهلا خير مقدم أقدموك وأفضل ، كيف أنت يا خالة ، وكيف كانَ مسيرك ؟

قالت : خير مسير ، كأني كنت ربيبة بيت أو طفلاً في مهد .

قال : بذاك أمرتهم ، فهل تعلمين لم بعثت إليك ؟

قالت : لا يعلمُ الغيب إلاّ الله .

قال : ألست راكبة الجمل الأحمر يوم صِفّين ، وأنت بين الصفّين توقدين الحرب ، وتحضين عليها ؟

قالت : بلــى .

قال : فما حملك على ذلك ؟

قالت : يا أمير المؤمنين ، إنه قد مات الرأس وبُتر الذنب ، والدهر ذو غِيَر[4] ، ومن تذكر أبصر ، والأمر يحدث بعد الأمر .

---

(١) اي لم أبرح .
(٢) هذه احدى روايتي تاريخ دمشق . وفي البلاغات « حكم الأمر » حتم الأمر : اوجبــه .
(٣) العصب : ضرب من برود اليمن سمي عصباً لأن غزله يعصب أي يدرج ثــم يصبغ ثم يحاك . ولا يجمع وإنما يقال : برد عصب ، وبرود عصب . وفي بلاغات النساء : جعل غشاءه حبراً مبطناً بعصب اليمن .
(٤) غير : أحداث مفردها غيرة .

قال لها : صدقت ، فهل تحفظين كلامك ؟

قالت : والله ما أحفظه .

قال : لكني والله أحفظه ، لله أبوك ، لقد سمعتك تقولين :

أيها الناس ، إنكم في فتنة غشيتكم جلابيب[1] الظلم ، وحادت بكم عن قصد المحجة ، يا لها من فتنة عمياء صماء ، لا يسمع لداعيها ، ولا ينقاد لسائقها . أيها الناس ، إن المصباح ، لا يضيء في الشمس ، وإن الكوكب لا ينير في القمر ، وإن البغل لا يسبق الفرس ، وإن الدّقّ[2] لا يوازي الحجر ، ولا يقطع الحديد إلا الحديد ، ألا من استرشدنا أرشدناه ، ومن سألنا أخبرناه ، إن الحق كان يطلب ضالة فأصابها ، فصبراً يا معاشر المهاجرين والأنصار على المضض ، فكأن قد التأم شعب الشتات ، وظهرت كلمة العدل ، وغلب الحق باطله ، فلا يعجلن أحد فيقول: كيف، وأنى!؟ ولكن ليقضي الله أمراً كان مفعولا ، ولله عاقبة الأمور . إن خضاب النساء الحناء ، وإن خضاب الرجال الدماء ، ولهذا اليوم ما بعده ، والصبر خير في العواقب . إيه[3] إلى الحرب قدماً غير ناكصين ، فهذا يوم له ما بعده .

فقال معاوية : يا زرقاء ، لقد أشركت[4] علياً في كل دم سفكه .

---

(١) كذا في الأصل . وتوافقها رواية أحد أصلي التاريخ والذي في المصادر : « غشتكم » . وبموجب هذه الرواية تكون جلابيب فاعل . الغشاء : الغطاء . وغشيه الأمر وتغشاه . واغشيته إياه وغشيته .

(٢) الدّق : كل شيء دق وصغر . وفي بلاغات النساء : « الزق » .

(٣) في المصادر : « إيهاً » . وإيه اسم فعل أمر ومعناه طلب الزيادة من حديث أو عمل . والزرقاء في هذا تحضهم على الحرب وتطلب منهم الاستمرار فيها .

(٤) كذا في الأصل ، وفي المصادر : شركت ، وهي الأشبه . شركه في الأمر يشركه ، إذا دخل معه فيه ، وأشركه معه فيه .

فقالت : أحسن الله بِشارتك يا أمير المؤمنين ، وأدام سلامتك ، مِثْلُك من بشر بخيرٍ ، وسَرّ .

قال لها : وقد سرك ذلك ؟

قالت : نعم ، وأنى لي بتصديقه ؟

فقال معاوية : والله لوفاؤكم له بعد موته أعجبُ إليّ من حبّكم له في حياتِه . اذكري حاجتك .

فقالت : يا أمير المؤمنين ، آليت على نفسي ألاّ أسأل أحداً أعنت عليه أبداً شيئاً ، ومثلك من أعطى من غير مسألة ، وجاد عن غير طِلْبة[1] .

قال : صدقت ، ثم أقطعها ضيعةً استغَلّتْها[2] في أول سنة عشرة آلاف درهــم .

★ ★ ★

---

(١) في تاريخ دمشق والبلاغات : « عن غير طلب » ، وفي صبح الأعشى : « من غير طلبــة » .

(٢) في تاريخ دمشق : « أغلتها » . أغلت الضيعة : أعطت الغلة . واستغــلال المستغلات أخذ غلتها .

١٢ ـ حديث سودة بنت عمارة الهمدانية*

وبإسناده عن العباس بن بكار الضبي ، قال : حدثنا محمد بن عبد الله[١] الخزاعي والغساني ، عن الشعبي ، قال :

استأذنت سودة بنت عمارة بن الأشلّ[٢] الهمدانيّة على معاوية فأذن لها، فلما أن دخلت عليه قال :

هيهِ يا بنة الأشلّ ، ألست القائلةَ لأخيك يومَ صِفّين :

شَمِّرْ كفِعْلِ أبيكَ يابنَ عمارةٍ ... يومَ الطِّعانِ وملتقى الأقرانِ
وانصر[٣] علياً والحسينَ ورَهْطَه ... واقصِدْ لِهندٍ وابنها بهوانِ
إن الإمامَ أخا[٤] النبيِّ محمدٍ ... علَمُ الهدى ومنارةُ الإيمانِ
فَقِهِ الحتوفَ[٥] وسِرْ أمامَ لوائه ... قُدُماً بأبيضَ صارمٍ وسنانِ ؟

قالت : بلى يا أميرَ المؤمنين، وما مثلي رغِب عن الحقّ ، واعتذر بالكذب.

قال : فما حملك على ذلك ؟

قالتْ : حبُّ عليٍّ ، واتباعُ الحقّ .

قال : والله ما أرى عليك من عليٍّ أثراً !

---

* خبرها مع معاوية في تاريخ دمشق ١٧٨ « ت ٤٦ تراجم النساء » ، وبلاغات النساء ٤٧ ، والعقد الفريد ١/٣٢٥ ، وعن المصدرين الأخيرين جمهرة خطب العرب ٢/٣٧٥ .

(١) كذا في هذا الموضع . وكذلك تقدم في ص ٦٣ ، وسيلي في ص ٧١ . وفي تاريخ دمشق وبلاغات النساء : « عبيد الله » وانظر ص ٢٢ من هذا الكتاب .

(٢) في تاريخ دمشق وبلاغات النساء : « الأسك » ، وفي العقد : « الأشتر » .

(٣) في الأصل : « وانظر » ، تصحيف .

(٤) في بلاغات النساء : « أخو » .

(٥) في العقد : « فقد الجيوش » .

قالت : أنشُدُكَ الله يا أميرَ المؤمنين وإعادة ما مضى ، وتَذْكارَ[1] ما نُسِيَ .

قال : هيهاتَ ! ما مِثلُ مقامِ أخيك يُنْسى ، وما لقيتُ مِنْ أحدٍ ما لقيتُ من قومِك .

قالت : صدق فُوكَ يا أميرَ المؤمنين ، لم يكن أخي والله ذميمَ المَقام ، ولا خفِيَّ المكان ، كان والله كقولِ الخنساء[2] :

وإنَّ صَخْراً لتأتمُّ الهداةُ بِهِ كأنَّهُ عَلَمٌ[3] في رأسِهِ نارُ

وأنا أسأل أمير المؤمنين إعفائي مما استَعْفَيْتُه[4] .

قال : قد فعلت ، فما حاجتك ؟

قالت : يا أمير المؤمنين ، إنك أصبحتَ للناس سيّداً ، ولأمورهم متقلّداً ، واللهُ سائِلُكَ عن أمرِنا ، وما افترضَ عليك من حقّنا ، ولا يزال يقْدِمُ علينا من ينوءُ[5] بعزك ، ويبطِشُ بسلطانك ، فيحصُدُنا حصادَ السُّنْبل ، ويدوسنا دِياسَ[6] البقر ، ويَسومنا الخَسْفَ[7] ، ويسألنا الجليلة . هذا ابن أرطاة قدم[8] ، فقتل رجالنا ، وأخذ أموالنا ، يقول لي . فوهي بما استعصم

(١) كل ما جاء على وزن تفعال فهو بفتح التاء إلا تبيان ، وتلقاء ، والتنضال .
(٢) ديوان الخنساء ٥١ .
(٣) العلم : الجبل .
(٤) في التاريخ والبلاغات : « استعفيت منه » .
(٥) في العقد « ينهض » ، نوّت بالحمل : نهضت به .
(٦) في البلاغات : « دوس » ، وداس الشيء برجله يدوسه دوساً ودياساً : وطئه .
(٧) يسومنا : يكلفنا ، والخسف : الذل والهوان ، والذي يناسب السياق رواية المصادر « يسومنا الخسيسة » .
(٨) في بلاغات النساء : « بسر بن أرطاة قدم علينا من قبلك » . وفي تاريخ دمشق: « ابن أبي أرطاة قدم بلادي » . وهو : بسر بن أرطاة ، ويقال ابن أبي أرطاة . سكن دمشق ، وشهد صفين مع معاوية ، ولاه معاوية اليمن ، وكانت له بها آثار غير محمودة . التهذيب ١/١٣٥ .

بالله منه وألجأ إليه فيه . ولولا الطاعة لكان فينا عــزّ ومَنَعة . فإمّا عزلته فشكرناك ، وإما لا فعرفناك !

فقال معاويــة : أبقومك تهددين ! لقد هممت أن أحملك علــى قَتَب أشرس[1] ، فأدرك إليه فيَنْفذَ فيك حكمه .

فأطرقت ، ثم بكت . ثم رفعت رأسها وهي تقول :

صلّى الإلــهُ على روحٍ تضمنَهــا قبرٌ فأصبحَ فيها[2] العدْلُ مدفونا
قد حالفَ الحقَّ لا يبْغي به بَدلاً فصار بالحق والإيمــان مقرونا

قال : ومن ذلك ؟ قالت : علي بن أبي طالب عليه السلام

قال : وما علمَك بـه[3] ؟

قالت : أتيته في رجلٍ ولاه صدقاتـنا ، لم يكن بيننا وبينَه إلا ما بين الغث والسمين[4] ، فوجدته قائمــاً يصلي ، فلما نظــر إليّ انفتــل من صلاته[5] ثم قاللي برأفةٍ وتعطفٍ : ألك حاجةٌ ؟ فأخبرتُه الخبرَ . فبكى ثم قــال : اللهم أنت الشاهدُ عليّ وعليهم ، إني لم آمرهم بظُلْم خلْقِك ، ولا بترك حقّك . ثم أخرج من جيبه قطعةَ جِلدٍ كهيئة طَرَف الجِراب، ثم كتب فيها :

---

(1) بعدها في تاريخ دمشق : « وهو المائل المعوج » . والقتب إكاف البعير .
(2) كذا . وبهذه الرواية يعود الضمير على الروح . والذي في المصادر : « فيه » .
(3) في تاريخ دمشق : « بذلــك » . وفي البلاغات : « وما صنــع بك حتى صار عندك كذلك » .
(4) في تاريخ دمشق : « إلا كما بين الغث إلى » .
(5) في تاريخ دمشق : « مصلاه » .

بسم الله الرحمن الرحيم

قد جاءكم[1] بينة من ربكم ، فأوفوا الكيلَ « والميزانَ بالقِسْطِ ، ولا تَبْخَسُوا الناسَ أشياءَهُم ، ولا تَعْثَوا في الأرضِ مُفْسِدِين ، بقيةُ اللهِ خيرٌ لكم إنْ كُنْتُم مؤمنين ، وما أنا عليكم بحفيظ[2] » .

إذا أتاكَ كتابي هذا فاحتفظ بما في يديك من عملنا حتّى يقدَمَ عليك من يقبضُه منكَ والسلام .

فأخذتُه والله ، وما خزَمَه[3] بخِزامٍ ، ولا ختَمه بطين .

فقال : رحِمَ الله أبا الحسن . اكتبوا لها بالعدل .

قالت : لي خاصةً ، أم لقومي عامةً ؟

قال : ما أنتِ وغيرُكِ !؟

قالت : هي والله إذاً الفحشاءُ واللؤمُ ! إن كان عَدْلاً شاملاً ، وإلا فأنا كسائرِ قومي .

فقال : هيهات يا أهلَ العراقِ ، لمّظكم[4] عليٌّ بن أبي طالبٍ الجرأة على السلطانِ فبطيءٌ ما تفطمون .

اكتبوا لها ولقومها .

---

(١) في تاريخ دمشق : « جاءتكم » .

(٢) سورة هود من الآية ٨٤ ، والآية ٨٥ .

(٣) خزم الكتاب : شكه .

(٤) التلمظ : التذوق . يريد معاوية أن عليا أعطاهم هذه الجرأة ، وعودهم عليها ، فأصبح من العسير أن يتركوها بعد أن ذاقوا طعمها .

١٣ ـ حديث بكارة الهلالية خالة ميمونة زوج النبي صلى الله عليه وسلم*

وبإسناده عن العباس بن بكار الضبي :

قال الدوري : وحدثنا الحسن بن علي العدوي البصري قال : حدثنا العباس ابن بكار الضبي والحسين بن أسد قالا : حدثنا محمد بن عبد الله الخزاعي ، عن الشعبي ، قال :

قَدِمَ معاويةُ المدينة فاستأذنت عليه بَكّارةُ الهِلاليةُ ، وكان أخوها زيد وقد شهد مع علي بن أبي طالب عليه السلام صِفين ، فأذن لها ، فدخلت ـ وكانت امرأة فصيحة قد أسَنَّتْ وعَشِيَ بصرُها ؛ وضعفتْ قوّتها ـ ترْعَشُ بيدها عكازها ، فسلّمتْ ، فردّ معاويةُ عليهما السلام ، وقال لها :

كيف أنت يا خالة ؟

قالت : بخير

قال لها : غيّرَكِ الدَّهْرُ !

قالت : كذلك هو ذو غِيَر ، من عاش كَبِر ، ومن مات قُبِر !

فقال عمرو بن العاص(١) : هيَ والله القائلة يا أمير المؤمنين لأخيها زَيد :

---

* خبرها مع معاوية من طريق آخر في بلاغات النساء ٥٣ ، وهو من هذا الطريق في العقد الفريد ١/٣٢٨ ، وانظر جمهرة خطب العرب ٢/٣٨٠ ، والخبر في هذه المصادر مختلف الرواية فأثبت من هذا الاختلاف ما وجدته ضروريا .

(١) موضعه في بلاغات النساء مروان بن الحكم .

يا زيدُ دونَكَ فاحتَفِرْ[1] مِنْ دارِنا سيفاً حُساماً في التُّرابِ دَفينا
قد كنتُ أذْخَرُهُ ليوم كريهةٍ[2] فاليومَ أبرَزَهُ الزمانُ مَصُونا

فقال مروان بن الحكم[3] : وهي القائلة يا أميرَ المؤمنين :

أتَرَى ابنَ هندٍ للخلافةِ مالكاً هيهاتَ ذاكَ ، وإن أرادَ[4] ، بعيدُ
مَنَّتْكَ نفسُكَ في الخلاءِ ضلالةً أغراكَ عمروٌ للشَّقا وسعيدُ
ارجِعْ بأنكد طائرٍ منحوسة[5] لاقت علياً أسْعُدٌ وسُعُودُ

فقال سعيد بن العاص : وهي القائلة يا أمير المؤمنين :

قد كنت أطمع[6] أن أموت ولا أرى فوق المنابرِ مِنْ أُمَيَّةَ خاطبا
فاللهُ أخَّرَ مُدَّتي فتطاولتْ حتّى رأيتُ مِنَ الزّمانِ عجائبا
في كلِّ يومٍ لا يزال[7] خَطيبُهم بين الجموع[8] لآل أحمد عائبا

ثم سكتوا .

فقالت : يا معاوية ، نبَحتْني كلابُك بعد أن عَشِيَ بصري ، وقصرت مِحجتي[9] ؛ وأنا : والله القائلةَ ما قالوا ، وما خفِيَ عليك منّي أكثرُ .

فضحك معاوية وقال : ليس ذاك بالذي يمنعنا من بِرِّكِ يا خالة . فاذكري حاجتك .

قالت : أما الساعةَ فلا ! وقامت وخرجت مغضبة .

---

(1) في بلاغات النساء : « فامتشر » .
(2) رواية البلاغات : « قد كان مذخوراً لكل عظيمة » .
(3) موضعه في البلاغات : « عمرو بن العاص » .
(4) في البلاغات : « وما أراد » .
(5) رواية الشطر محرفة في البلاغات ، وليس البيت في العقد .
(6) في البلاغات : « آمل » .
(7) في العقد : « للزمان » .
(8) في البلاغات : « وسط الجموع » .
(9) في العقد : « فقصرت حجتي » ، وفي البلاغات : « فقصر محجني » .

١٤ ـ حديث امرأة أبي الأسود الدِّيْلي*(١)

وبإسناده عن محمد بن زكريا الغلابي ، قال : حدثنا أبو زيد بحاح ممدح(٢) ابن عمير الحنفي ، قال : حدثنا بشر بن إبراهيم الأنصاري عن الأوزاعي ٠

قال الغلابي : وحدثنا عبد الله بن الضحاك ، قال : حدثنا هشام بن محمد(٣)، عن عوانة ٠

قال الغلابي : وحدثنا محمد بن عبيد الله الجشمي ، عن عطاء بن مصعب ، عن عاصم بن الحدثان ٠

قال الغلابي : وحدثنا كثير بن يحيى قال : حدثنا زياد البكائي ، عن محمد بن إسحاق ، عن عبد الملك بن ابي سفيان بن العلاء بن حارثة بن قارب الثقفي ٠

قالوا :

كان أبو الأسود الدِّيْلي كثيراً عند معاوية ، وكان يقرب مجلسه ويدنيه إذا وفد عليه ، ويسأله عن أشياء فيقول فيها بعلم ٠ فبينا هو ذات يوم عند معاوية إذ دخلت امرأة بَرْزَة فقالت :

---

* حديثها مع معاوية في بلاغات النساء ٧١ من طريق أخر ، وهو من هذا الطريق في تاريخ دمشق ٥٥٥ (تراجم النساء) ، وبعض هذا الخبر في الأمالي ٢/١٢، وعيون الأخبار ٤/١٢٢ ، وأمالي المرتضى ١/٢١٤ ٠

(١) كذا في الأصل ، وأصل التاريخ ، وهو وجه في نسب أبي الأسود ذكره اللباب والأنساب ٠ وتكون النسبة إلى : « الديل » ـ بكسر الدال وسكون الياء ـ ابن بكر بن عبد مناة بن كنانة ٠ أما المشهور فهو « الدؤلي » راجع تاريخ دمشق ٥٥٥ ٠

(٢) كذا ، وفي تاريخ دمشق : « بحرج ابن عمير الحنفي » ٠

(٣) في الأصل : « محمد بن محمد » ، والصحيح أنه : هشام بن محمد أبي النضر ابن السائب بن بشر الكلبي ، أبو المنذر ٠ من أهل الكوفة كان عالماً بأخبار العرب وأنسابهم له نيف ومائة وخمسون كتاباً ٠ انظر مصادر ترجمته في الأعلام ٨/٨٨ ٠

أصلح الله أميرَ المؤمنين وأمتعَ به . إنّ الله جعلك خليفةً في البلاد ، ورَقيباً على العباد ؛ يُسْتَسْقى بك المطرُ ، ويـ تنبتُ بك الشجرُ ، ويأمن[1] بك الخائفُ . وأنت الخليفة المصطفى ، والأمير [2] المرتضى ، فأسأل الله لك النعمةَ في غير تقصير ، والبركة في غير تقتير ؛ فقد ألجأني إليك يا أمير المؤمنين أمر ضاق به عني المَخْرجُ من أمرٍ كرهت إعادته [3] ، لما أردتُ إظهاره ، فليكشف عني أمير المؤمنين الهمَّ ، وليُنصِفْني من الخَصْم ، ليكن ذلك على يديه . وإني أعوذ بعَقْوتِك[4] من العار الوبيل ، والأمرِ الجَلَل ، الذي يشتدُّ على الحرائرِ ذواتِ البُعول الأخيار .

فقال لها معاوية : من هذا الذي يُشْعِرُك شَنَاره[5] ؟

قالت : أمرُ طلاقٍ جاءني من بعلٍ غادرٍ ، لا تأخذُه من الله مخافةٌ ، ولا يجدي جِذافة[6] .

قال : ومن بعلك ؟

قالت : هو أبو الأسود الدِّيْلي !

فالتفتَ معاوية إليه وقال : أحَقّاً ما تقول هذه المرأة .

---

(١) في الأصل وتاريخ دمشق : « يؤمن » ، والصواب من البلاغات .

(٢) في تاريخ دمشق : « والأمين » ، وفي البلاغات : « والإمام » .

(٣) في تاريخ دمشق « كرهنا عادته » ، وفي البلاغات : « لأمر كرهت عاره لما خشيت إظهاره » . ولعل الصواب : « .. كرهت عاره لما أردت إظهاره .

(٤) في الأصل : « بحقوته » ، وسقطت اللفظة قبلها . وما أثبته رواية التاريخ وشبيهة بها رواية البلاغات . العقوة ساحة الدار . يقال : نزل بعقوته .

(٥) أصل الإشعار الإدماء بطعن أو رمي . وفي حديث معبد الجهني لما رماه الحسن بالبدعة ، قالت له أمه : « إنك قد أشعرت ابني في الناس » ، أي جعلته علامة فيهم ، وشهرته بقولك فصار له كالطعنة . والشنار : العيب والعار .

(٦) يقال : « احتمل رحله فما ترك منه حذافة » .

قال : إنها لتقولُ من الحقِّ بعضاً ، وليس يطيق أحد عليها نقضاً ؛ أما ما ذكرتْ من أمرِ طلاقها فهو حقٌّ ، وسأخبرك ؛ أمَّا والله ما طلقتُها لريبةٍ ظهرت ، ولا لِهفوةٍ خطرتْ ، ولكني كرِهْتُ شمائِلها فقطعتُ حبائلها .

قال : وأيُّ شمائلها كرهت ؟

قال : إنك مُهيجُها علي بجواب عَتِيد ، ولسانٍ شديد .

قال : لا بدَّ لك من مجاوَبتها ، فاردد عليها قولَها عند محاورتِها .

قال : هي يا أميرَ المؤمنين كثيرةُ الصَّخَبِ ، دائمة الذَّرَبِ [١]، مهينةٌ للأهل ، مؤذية للبَعلِ ، إن ذكرَ خيراً دفنته ، وإن ذكر شرّاً أذاعتْه . تخبرُ بالباطل ، وتطير مع الهازِل ، لا تنكَلُ عن عتبٍ ، ولا يزال زوجها معها في تعبٍ .

قالت له : والله لولا حضورُ أميرِ المؤمنين ، ومن حضره من المسلمين لرددتُ عليك نَوادرَ كلامِكَ بنوادر[٢] تَدُعُّ[٣] كلَّ سهامك .

فقال معاويةُ : عزمتُ عليك لما أجبتِه .

قالت : يا أمير المؤمنين ، هو والله جهول [٤] ، ملحاح بخيل ، إن قال فشرُّ قائلٍ ، وإن سكتَ فذو دغائل[٥] ، ليث حين يأمنُ ، ثعلبٌ حين يخاف شحيح حين يضافُ . إن التُمِسَ الجودُ عنده انقمعَ [٦] لِما يعلمُ من لؤم

---

(١) الذرب : بذاءة اللسان .

(٢) تاريخ دمشق : « بوادر كلامك ببوادر » ، وكلام نادر : غريب خارج عن المعتاد ، ونوادر الكلام : ما شذ وسقط منه .

(٣) الدع : الطرد والدفع . دعه يدعه دعاً دفعه في جفوة .

(٤) في تاريخ دمشق : « سؤول جهول » .

(٥) أي ذو شرور وفساد .

(٦) أي انقهر وذل .

آبائِـه وقِـصَـر رِشائِـه[1] ؛ ضيفه جائع ، وجارُه ضائع ؛ لا يحمي ذِماراً، ولا يضرمُ ناراً[2] ، ، ولا يرعى جِواراً ؛ أهون الناس عنده من أكرَمَـه ، وأكرمُهم عليه من أهانَه .

فقال معاويةُ : ما رأيت أعجبَ من أمرِ هذه المرأة ! انصرفي إليَّ رَواحاً.

فلما كان من العَشـِيِّ جاءت، وإذا معاوية يخطبُ، فلمّا رآها أبو الأسود قال : اللهم اكفني شرَّها .

قالت : قد كفاك الله شَرّي ، وأرجو أن يعيذَك من شرِّ نفسك .

قال : ناوليني هذا الصَّبي حتى أحمله .

قالت : ما جعلك الله بأحقّ بحمل[3] ابني مني .

فوثب فانتزعه منها .

فقال معاوية : مهلاً يا أبا الأسود .

قال : يا أمير المؤمنين ، حملتُه قبل أن تحملِه ، ووضعتُه قبل أن تضعَه.

قالت : صدقَ ، حمَلَـه خِفّاً ، وحملتُه ثِقْلاً ، ووضعَـه شهوةً ووضعتُه كُرْهاً . وقد كان حَجْري[4] حواءَه ، وبطني وعاءَه ، وثَدْيي سقاءه .

فقال : ما رأيتُ أعجبَ من هذه المرأة !

فقال أبو الأسود : يا أمير المؤمنين ، إنها تقول من الشعر أبياتاً فتجيدُها.

---

(١) الرشاء : الحبل ، ومعناه هنا ما يتوصل به إلى عظائم الأمور .

(٢) كناية عن البخل .

(٣) في الأصل : « بأحق من » ، ولا موضع لـ « من » في هذه العبارة . وفي تاريخ دمشق « بأحق بحمل هذا البني .. » .

(٤) في الأصل : « نحري » ، تصحيف . انظر قولها التالي في شعرها . ويؤكد أن ما اثبتناه هو الصواب رواية التاريخ : « كان حجري حواءه ، وبطني وعاءه ، وثديي سقاءه » . وفي اللسان أن امرأة قالت : « إن ابني هذا كان بطني له حواء » ، الحواء اسم المكان الذي يحوي الشيء ، اي يضمه ويجمعه .

قال : فتكلف أنت[1] لعلك تقهرها بالشعر .

فقال أبو الأسود :

مَرْحباً بالتي تجور علينا ... ثم سَهْلاً بحاملٍ مَحْمولِ
أغلقت بابَها عليّ وقالت ... إن شرَّ [2] النساء ذاتُ البُعول
شغلت قلبَها عليّ فراغاً ... هل سمعتم بفارغٍ مَشغْول[3]

فقالت ترد عليه :

ليس من قال بالصواب وبالحـ ... ـق كمن حادَ عن سواءِ السبيل
كان حجْري حواءَه حين يضحي ... ثم ثدْيي سقاءه للأصيلِ[4]
لستُ أبغي بواحدي يا بنَ حَرْبٍ ... بَدَلاً ما رأيتُه والجَليل

قال معاوية :

ليس مَنْ قَدْ غَذاه طِفْلاً صغيراً ... وسقاه من ثديه بالخَذُول[5]
هي أولى به وأقربُ رُحْماً ... من أبيه وفي قضايا الرسول[6]
أمه ما حنت عليه هي اولى[7] ... من أبيه بذا الغلامِ الأصيل

قال : فدفعه إليها .

---

(١) في تاريخ دمشق : « فتكلف انت أبياتا » .
(٢) في البلاغات : « خير » .
(٣) في البلاغات : « شغلت نفسها ... بالفارغ المشغول » .
(٤) في تاريخ دمشق « بالأصيل » ، وإن صحت رواية الأصل تكون اللام هنا بمعنى «في» قال تعالى : « ونضع الموازين القسط ليوم القيامة »،أي في يوم القيامة.
(٥) خذول هنا بمعنى مخذول .
(٦) في تاريخ دمشق : « قضاء الرسول » .
(٧) وصلت في هذه اللفظة الهمزة لضرورة إقامة الوزن .

١٥ ـ حديث أمامة بنت يزيد بن الصَّعِق*

قال الدوري : حدثنا محمد بن حمزة الهاشمي ، وحدثنا جعفر بن علي ، قالا: حدثنا محمد بن زكريا الغلابي ، قال : حدثنا إبراهيم بن عمر بن حبيب ، ومهدي ابن سابق ، قالا : حدثنا أبو عبيدة معمر بن المثنى ، قال :

قدِمَتْ أمامةُ بنتُ يزيد بن الصَّعِق على معاوية ، فقال لها :

ـ حدثيني عن هذا الحيّ من مضر .

قالت : أمّا ناصيةُ مُضَر فهذان الحيّان : كِنانةُ وأسدُ ، وأما أظفارُه التي يخادِش بها فهذا الحيّ من قيسٍ .

فقال معاوية : ما تركتم لتميم ؟

قالت : ذلك الكاهِلُ المحمولُ عليها (١) ، والكَرِش المأكول فيها .

قال لها : حدثيني عن قيس ، قَصْرُهُ (٢) !

قالت : جمجمة قيس غطفان ، وأضراسها من سليم ، وخَيْشُومُها عامر بن صعصعة .

★ لم أجد ذكراً لها فيما بين يدي من المصادر . ويزيد بن عمرو بن الصعق الكلابي . فارس جاهلي من الشعراء ، وفد على ملك من ملوك الغساسنة في طلب ابنة له سباها الملك الغساني . وهو القائل لبني أسيد بن عمرو بن تميم:

إذا ما مات ميت من تميم ... فسرك أن يعيش فجيء بزاد
تـراه ينقب البطحاء حولا ... ليأكل رأس لقمان بن عاد

انظر الشعر والشعراء ٦٣٦ (تحقيق شاكر) ، ومعجم الشعراء ٤٩٤ (نشر مكتبة القدسي) ، ورغبة الآمل ٣/٢١٤ ، وجمهرة أنساب العرب ٢٨٦ .

(١) الكاهل ما بين الكتفين وتشير هنا إلى قوله ﷺ : « تميم كاهل مضر وعليها المحمل » .

(٢) أراد أن تقتصر عليه ولا تجاوزه . يقال : قصرك وقصارك وقُصارك أن تفعل كذا .

١٦ ـ حديث أخت عبد الله بن عامر بن ربيعة*

قال ابو بكر الدوري : حدثني محمد بن حمزة الهاشمي ، وحدثنا جعفر بن علي ، قالا : حدثنا محمد بن زكريا الغلابي ، قال : حدثنا العباس بن بكار ، قال : حدثنا سهيل بن ابي سهيل التميمي ، عن ابيه ، قال :

استعدت أخت لعبد الله بن عامر بن ربيعة معاوية على أخيها فلم يعدها . وأراد معاوية الركوب يوماً ، فقال له عبد الله : إني والله يا أمير المؤمنين ما أخاف عليك من الناس كلهم إلاّ من هذه المرأة ، فإنها بذيئة اللسان . فوكل معاوية بنفسه من يحفظه منها ، وخرج في الناس ، فلم يفجأه إلا المرأة ، قد بلغت موكبه، واعترضت ضيفيه(١) ، وأخذت بلجام بغلته ، فقالت :

يا أمير المؤمنين أعِنّي على شِبْه البغلِ الذي لم يشبه أباه ولا أمه !

فاعترضها الضحاك بن قيس ، فقال : اسكتي يا عدوة الله !

فأقبلت على معاوية وقالت : يا أمير المؤمنين ، من هذا ؟

قال : أوما تعرفينه ؟

قالت : لا ، فمن هو ؟

قال : الضحاك بن قيس الفِهْريّ .

فضحكت ثم قالت : غيرُ كثيرٍ ولا طيّب ، هذا يقول فيه الشاعر !

★ خبرها مع معاوية في تاريخ دمشق ٥٦٦ (تراجم النساء) ، وفيه عبد الله بن عامر بن كريز بن ربيعة .

(١) هما الضحاك بن قيس ومروان بن الحكم كما سيتضح في الخبر .

قصيرُ القَميص فاحشٌ عند بيتـه وشرُّ قريشٍ في قريشٍ مُرَكَّبا(١)

فاعترضها مروان بن الحكم ، فقال : اسكتي يا عدوة الله .

فأقبلت على معاوية فقالت : يا أمير المؤمنين ، من هذا ؟

قال : أوما تعرفينه ؟

قالت : لا ، فمن هو ؟

قال : مروان بن الحكم !

قالت : غير كثير ولا طيب ، أما والله لو كانت أمك قرشيةً لحَميتَ لـي(٢) .

قال : فخفق معاوية على قَرَبُوسه(٣) ثم قال : قولي جعلني الله فداك ، لا كنت لهم اليوم رابعاً(٤) !

* * *

تمّ الكتاب . والحمد لله وحده وصلواته على محمد وآله .

---

(١) قصر القميص كناية عن الضعة والهوان . والمركب : الأصل والمنبت . تقول : فلان كريم المركب ؛ أي كريم أصل منصبه في قومه .

(٢) أم مروان بن الحكم آمنة بنت علقمة بن صفوان بن أمية ، من بني مالك بن كِنانة . كان يعير بها بنو مروان .

(٣) القَربوس : حِنو السرج ، القَرْبُوس لغة فيه والجمع قرابيس .

(٤) أي لا يريد أن يكون رابع من تتناوله بلسانه البذيء .

(٥) بعدها بالخط ذاته : بلغ مقابلة بالأصل .

فهارس الكتاب

أ ـ فهرس الموضوعات

ب ـ فهرس الشعر

ج ـ فهرس الأعـلام

د ـ فهرس رجال السند

هـ ــ فهرس الأماكن والأقوام